

يغير ألوانه البحر

نازك الملائكة



يُغَيِّرُ أَلْوَانَهُ الْبَحْرُ

لمحات من سيرة حياتي وثقافتي

نازك الملائكة

وُلدتُ في بغداد في ٢٣ من شهر آب (أغسطس) سنة (١٩٢٣)، وكنت كبرى إخوتي وهم : أربع بنات ، وولدان.

وقد تدرجت في دراستي من الابتدائية إلى المتوسطة فالثانوية، وتخرجت في الثانوية عام ١٩٣٩، وكنت، منذ صغرى، أحب اللغة العربية، والإنجليزية، والتاريخ ، ودروس الموسيقى، كما كنت أجد لذة في دراسة العلوم، بخاصة علم الفلك، وقوانين الوراثة، والكيمياء، ولكني كنت أمقت الرياضيات مقتاً شديداً، وأعد السنين يوماً يوماً لأصل إلى إنهاء مرحلة الثانوية، فأتخصص بدراسة الآداب، ثم دخلت دار المعلمين العالية، فرع اللغة العربية، وخرجت منها بليسانس الآداب عام ١٩٤٤ من مرتبة الامتياز، وهي أعلى مرتبة تمنح، وخلال سنوات دراستي فيها تعرفت إلى موضوع الفلسفة، وأحببته حباً شديداً، فساعدني على تكوين ذهن منطقي، وكانت دراساتي الكثيرة للنحو العربي، في

أصوله القديمة، قد هيأتني له تهيئة واضحة وقد بدأت نظم الشعر، وحببه منذ طفولتي الأولى، والواقع أنني سمعت أبويّ وجدّي يقولون عني أنني «شاعرة» قبل أن أفهم معنى هذه الكلمة، لأنهم لاحظوا علىّ التقفية، وأذنا حساسة تميز النغم الشعريّ تمييزاً مبكراً. وبدأت بنظم الشعر العامي، قبل عمر سبع سنوات.

وفي سن العاشرة نظمت أول قصيدة فصيحة، وكانت في قافيتها غلطة نحوية، وعندما قرأها أبي رمى قصيدتي على الأرض بقسوة، وقال لي، في لهجة جافية مؤنبة: «أذهبى أولاً، وتعلمي قواعد النحو... ثم انظمي الشعر»، وكانت معلمة النحو في المدرسة لا تميز الفاعل من المفعول، وسرعان ما اضطر أبي إلى أن يتولى تعليمي قواعد النحو بنفسه حين دخلت المتوسطة، وفي ظرف شهر واحد تفوقت على الطالبات جميعاً، وصرت أنال أعلى الدرجات.

ولاحظ أبواي أنني موهوبة في الشعر، شديدة الولع بالمطالعة، فأعفياني من المسؤوليات المنزلية، والعائلية إعفاء تاماً، وساعدني ذلك على التفرغ، والتهيؤ لمستقبل أدبي، وفكري خالص.

وكانت والدتي، في سنوات الشعرية المبكرة، تنظم الشعر، وتنتشره في المجالات، والصحف العراقية، باسم السيدة «أم تزار الملائكة» وهو اسمها الأدبي الذي عرفت به، أما أبي فكان مدرس النحو في الثانويات العراقية، وكانت له دراسة واسعة في النحو، واللغة والأدب، وقد ترك مؤلفات كثيرة أهمها موسوعة في عشرين مجلداً، عنوانها «دائرة معارف الناس» اشتغل فيها طيلة حياته، واعتمد في تأليفها على مئات المصادر، والمراجع، ولم يكن أبي شاعراً، ولكنه كان ينظم الشعر، وله قصائد كثيرة، وأرجوزة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت؛

وصف فيها رحلة قام بها إلى إيران عام ١٩٥٥ وكان أبى متواضعاً، ولم يرض يوماً أن يسمى نفسه شاعراً، مع سرعة بديهته، وقدرته على الارتجال، وظرفه.

وكان لأبوى تأثير عميق في حياته الفكرية، والشعرية. أما أبى، فقد بقى أستاذى فى النحو حتى أنهيت دراسة الليسانس، وكنت أهرع إليه، بكل مشكل نحوى يعرض لى، وأنا أقرأ ابن هشام، والسيوطى، والأشمونى، وسواهم، والحق أنى كنت، ولم أزل، شديدة الولع بالنحو.

وقد فرش لى أبى طريقاً ممهداً رائعاً، حين وضع بين يدى مكتبته التى كانت تحتوى على متون النحو، وكتب الشواهد جميعاً، ولذلك كان من الطبيعى، تماماً، أن أكون الطالبة الوحيدة بين طلبة قسم اللغة العربية التى اختارت رسالة لمرحلة الليسانس فى موضوع نحوى، هو : (مدارس النحو)، وكان المشرف عليها أستاذى الكبير العلامة الدكتور مصطفى جواد الذى كان له فى حياتى الفكرية أعمق الأثر، رحمه الله، وجزاه عنا نحن تلاميذه أجمل الجزاء، ولم تنزل رسالتى هذه فى مكتبة كلية التربية، وعليها تعليقات بالقلم الأحمر، كتبها الدكتور مصطفى جواد فى حينه.

أما والدتى، فقد كان لها أثر واضح فى حياتى الشعرية، لأننى كنت أعرض عليها قصائدى الأولى، فتوجه إليها النقد، وتحاول إرشادى، ولكنى كنت أناقشها مناقشة عنيدة، فقد لاح علىّ، منذ مرحلة الثانوية، التأثر بالشعر الحديث؛ شعر محمود حسن إسماعيل، وبدوى الجبل، وأمجد الطرابلسى، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخورى، وأمثالهم، بينما كانت هى تعجب بشعراء أقدم مثل: الزهاوى خصوصاً. فقد كان شاعرها الأثير، وكان اهتمامها بالشعر القديم أكبر من

اهتمامي، ولذلك كان تأثيره في شعرها أبرز، ولكن نوق أُمي نفسها بدأ يتطور، كما يلاحظ من يدرس شعرها الذي طبعت المنشور منه، بعد وفاتها، في ديوان سميته «أنشودة المجد»، وقد بدأت أُمي تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة، وكانت تعجب خصوصاً بشعر إبراهيم ناجي، وصالح جودت، ولكن اتجاهاتي الشعرية بقيت مختلفة عن اتجاهاتها، بسبب معرفتي للإنجليزية، والفرنسية وكثرة قراعتي لشعرائهما.

ورغم ذلك فقد بقينا، أنا وهي، صديقتين، فكانت تقرأ لي قصائدها، وأقرأ لها قصائدي، حتى وفاتها عام ١٩٥٣، وهي في الثانية والأربعين من العمر، رحمها الله رحمة واسعة.

وخلال دراستي في دار المعلمين العالية، كنت أساهم في حفلات الكلية، بإلقاء قصائدي، وكانت الصحف العراقية تنشر تلك القصائد في حينها، غير أنني أهملت هذا الإنتاج المبكر، ولم أدرج منه شيئاً في مجموعاتي الشعرية المطبوعة، لأنني بقيت أنظر إليه على أنه شعر الصبا قبل مرحلة النضج، والواقع أنني أقبلت على نظم الشعر إقبالاً شديداً منذ عام ١٩٤١ يوم كنت طالبة في الكلية. فقد دخلت في ذلك العام بداية نضجي الروحي والعاطفي والاجتماعي، فضلاً عن أنه العام الذي شهد ثورتنا القومية العظيمة التي هزت كياني هزاً عنيفاً وهي ثورة رشيد عالي الكيلاني، وكنت أتفجر حماسة لتلك الثورة ونظمت حولها القصائد المتحمسة التي لم أنشر منها أي شيء: فسرعان ما انتصر الحكم البوليسي في العراق، ونصبت المشانق للأحرار، ولم يعد في العراق من يستطيع التنفس، ولكننا، أنا وأُمي، استمررنا ننظم القصائد الثائرة سراً،

ونطويها فى دفاترنا الحزينة.

وفى عام ١٩٤٧ صدرت لى أول مجموعة شعرية، وقد سميتها (عاشقة الليل) لأن الليل كان يرمز عندى إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء، وكنت فى الليل أعزف على عودى فى الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغنى ساعات كل مساء، وقد كان الغناء سعادتى الكبرى منذ طفولتى، وكنت أحبس أنفاسى إذا ما سمعت صوت عبد الوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلى جهاز حاك (غرامافون) يدور فى بيت الجيران. وكنت سريعة الحفظ لأى أغنية أسمعها، وكانت أمى لا تفتأ تندهش دهشة كبيرة عندما تسمعنى أغنى، وما زلت أذكر صوتها فى صغرى وهى تتلفت، وتقول: يا إلهى ! من أين حفظت ابنتى كل هذه الأغانى ؟ ومتى سمعتها ؟ وكيف ؟ ولم تدر أننى كنت حين أسمع حاكياً يدور بأغنية أقف مسمرة فى مكانى حتى لو كنت فى الشارع. وفى تلك الأيام البعيدة لم يكن المذيع قد دخل الحياة فى العراق طبعاً، فكان الاستماع إلى الأغانى لا يتم إلا عن طريق الإسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد بالبث إلا فى سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

وبعد صدور (عاشقة الليل) بأشهر قليلة انتشر وباء الكوليرا فى مصر الشقيقة، وبدأنا نسمع الإذاعة تذكر أعداد الموتى يومياً، وحين بلغ العدد ثلاثمائة فى اليوم انفعلت انفعالاً شعرياً، وجلست أنظم قصيدة استعملت لها شكل الشطرين المعتاد، مُغيرةً القافية بعد كل أربعة أبيات أو نحو ذلك، وبعد أن انتهيت من القصيدة، قرأتها فأحسست أنها لم تعبر عما فى نفسى، وأن

عواطفى ما زالت متأججة. وأهملت القصيدة وقررت أن اعتبرها من شعرى الخائب (الفاشل) وبعد أيام قليلة ارتفع عدد الموتى بالكوليرا إلى ستمائة فى اليوم، فجلست، ونظمت قصيدة شطرين ثانية أعبّر فيها عن إحساسى، واخترت لها وزناً غير وزن القصيدة الأولى، وغيّرت أسلوب تقفيها ظانّة أنها ستروى ظمّاً التعبير عن حزنى، ولكننى حين انتهيت منها شعرت أنها لم ترسم صورة إحساسى المتأجج، وقررت أن القصيدة قد خابت كالأولى، وأحسست أننى أحتاج إلى أسلوب آخر أعبّر به عن إحساسى وجلست حزينّة حائرة لا أدرى كيف أستطيع التعبير عن مأساة الكوليرا التى تلتهم المئات من الناس كل يوم.

وفى يوم الجمعة ٢٧ / ١٠ / ١٩٤٧ أفقت من النوم، وتكاسلت فى الفراش أستمع إلى المذيع وهو يذكر أن عدد الموتى بلغ ألفاً، فاستولى على حزن بالغ، وانفعال شديد، فقفزت من الفراش، وحملت دفترأ، وقلمأً وبغادرت منزلنا الذى يموج بالحركة، والضجيج يوم الجمعة، وكان إلى جوارنا بيت شاهق يُبنى، وقد وصل البنائون إلى سطح طابقه الثانى، وكان خالياً لأنه يوم عطلة العمل، فجلست على سياج واطىء، وبدأت أنظم قصيدتى المعروفة الآن «الكوليرا»، وكنت قد سمعت فى الإذاعة أن جنث الموتى كانت تحمل فى الريف المصرى مكدسة فى عربات تجرها الخيل، فرحت أكتب وأنا أتحمس صوت أقدام الخيل:

سكن الليل

أصغ ، إلى وقع صدى الأناث

فى عمق الظلمة ، تحت الصمت ، على الأموات

ولاحطت فى سعادة بالغة أننى أعبر عن إحساسى أروع تعبير بهذه
الأشطر غير المتساوية الطول، بعد أن ثبت لى عجز الشطرين عن التعبير عن
مأساة الكوليرا، ووجدتنى أروى ظمأ النطق فى كيانى، وأنا أهتف

الموت ، الموت ، الموت ،

تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

وفى نحو ساعة واحدة انتهيت من القصيدة بشكلها الأخير، ونزلت ركضاً
إلى البيت، وصحت بأختى « إحسان » « انظرى لقد نظمت قصيدة عجيبة الشكل
أظنها ستثير ضجة فظيعة، وما كادت إحسان تقرأ القصيدة - وهى أول من
قرأها - حتى تحمست لها تحمساً شديداً، وركضت بها إلى أمى فتلقته ببرودة،
وقالت لى: ما هذا الوزن الغريب؟ إن الأشطر غير متساوية، وموسيقاها ضعيفة
يا بنتى، ثم قرأها أبى، وقامت الثورة الجامحة فى البيت فقد استنكر أبى
القصيدة، وسخر منها واستهزأ بها على مختلف الأشكال، وتنبأ لها بالفشل
الكامل، ثم صاح بى ساخراً: « وما هذا الموت الموت الموت؟ »

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد «الموت» غير لذيذ

وداح إخواتى يضحكون وصحت أنا بأبى «قل ما تشاء ، إنى واثقة أن
قصيدتى هذه ستغير خريطة الشعر العربى ، وكنت مندفعة أشد الاندفاع فى
عبارتى هذه، وفى أمثال لها كثيرة قلتها رداً على التحدى بالتحدى، ولكن الله
سبحانه وتعالى كان يسبغ على رحمته فى تلك اللحظات الحرجة من حياتى
الشعرية، فكتب لقصيدتى أن يكون لها شأن كما تمنيت وحلمت، فى ذلك الصباح
العجيب فى بيتنا.

ومنذ ذلك التاريخ انطلقت فى نظم الشعر الحر، وإن كنت لم أتطرف إلى درجة نبذ شعر الشطرين نبذاً تاماً، كما فعل كثير من الزملاء المندفعين الذين أحبوا الشعر الحر، واستعملوه بعد جيلنا.

وفى عام ١٩٤٩ صدرت ببغداد مجموعتى الشعرية الثانية (شظايا ورماد)، وقد صدرتها بمقدمة أدبية ضافية عرضت فيها موجزاً لنظرية عروضية لشعري الجديد الذى نشرت منه فى المجموعة عشر قصائد، وما كاد الكتاب يظهر حتى أشعل ناراً فى الصحف، والأندية الأدبية، وقامت حوله ضجة عنيفة، وكتبت حوله مقالات كثيرة متلاحقة، كان غير قليل منها يرفض الشكل الجديد الذى دعوت إليه، ويأباه للشعر، غير أن الدعوة لقيت أروع القبول فى الأوساط الشعرية الشابة، فما كاد يمضى عام حتى كان صدى الدعوة قد تخطى العراق إلى خارجه، وبدأت أقرأ فى المجلات الأدبية فى مصر، ولبنان، وسوريا، وسواها قصائد من الشعر الحر، كان غير قليل منها يحمل لافتات إهداء نثرى : « إلى الشاعرة نازك الملائكة».

* * *

فى عام ١٩٤٢ بلغ نشاطى الشعرى واللغوى، والفنى، والأدبى أوجه، فاندفعت أطلب الثقافة، والعلم فى نهم لا يرتوى، وحرارة لا تنطفىء، ففى السنة نفسها سجلت نفسى طالبة فى فرع العود بمعهد الفنون الجميلة، ودخلت طالبة فى فرع التمثيل، وانتميت إلى صف لدراسة اللغة اللاتينية، وكنت إذا ذاك - فوق هذا كله - طالبة فى السنة الثانية من دار المعلمين العالية، وقد وهبت نفسى، فى حرارة لا مثيل لها، إلى هذه الدراسات كلها، وكنت أحبها أشد الحب.

أما العزف على العود فقد كان أمنيته منذ صغرى، وحين رأى أبى حرقه تشوقى إلى هذه الدراسة، وافق بعد تردد طويل على أن أدخل معهد الفنون الجميلة لأدرس على الفنان الكبير الموسيقار الأستاذ محيى الدين حيدر الذى كان اسمه الفنى فى المعهد : «الشريف» ، ولهذا الفنان طريقة فريدة فى العزف، والتدريس عليها أثر موهبته الفنية العظيمة؛ وله فى العراق اليوم تلاميذ معروفون من الموسيقيين، من مثل الأستاذ سلمان شكر، والأستاذ جميل بشير، وسواهما. وكانت مدة الدراسة ست سنوات، والمنهج يقوم على تدريسنا المقامات الشرقية على بشارف وسماعيات، وسواها، وكان الطالب يتدرج حتى يصل إلى قمة المهارة الفنية فى عزف مقطوعات الشريف محيى الدين التصويرية الرائعة مثل: «تأمل»، و«ليت لى جناحاً»، و«كابريس». وكان للشريف، يرحمه الله، مزاج فى العزف، فكان يغير، ويعدل فى البشارف، والسماعيات التى ألفها كبار الموسيقيين، من مثل: طانيوس أفندى، وجميل بك، وعزيز دده، ويوسف باشا، وكانت هذه التعديلات تجمل الأصل أروع تجميل، وتخرجه إخراجاً حياً وكنت أنا أجلس فى صف العود مسحورة، وكأنى أستمع إلى صلاة، وكان الشريف يكرر على أن لى سمعاً موسيقياً حساساً، وموهبة ظاهرة، ولكنه كان خائفاً على أن يجرفنى حبي للشعر ويبعدنى عن الموسيقى على أى شكل من الأشكال، ورغم أننى ما زلت، حتى اليوم، أعزف لنفسى لكى يصحبنى العود، وأنا أغنى ألحان عبد الوهاب، وأم كلثوم، وقيروز ، وعبد الحلیم حافظ، ونجاة . وهو انصراف محدود، غير ما كان أستاذى يتوقع منى، ولعله كان ينتظر أن أكون عازفة مشهورة فى الإذاعات ومؤلفة ألحان.

وأما دراستي للتمثيل، فالحق أنه كان لي فيها دافعان اثنان:

أولهما أن أتعلم فن الإلقاء، فقد كنت ارتقى المسرح لألقى قصائدي فأقرأها قراءة رتيبة دون أن أعرف كيف ألون صوتي بالانفعال، وأرفعه، وأنغمه مع معاني قصيدتي وقد خطر لي أن دراسة التمثيل ستساعدني في هذا المجال. والدافع الثاني أنني اطلعت على منهج الدراسة في هذا الفرع فبهرنى. كان منه دراسة مفصلة مسهبة للميثولوجيا الإغريقية، بكل تفاصيلها الدقيقة، ومداخلها، ومخارجها. وكان موضوع «تاريخ المسرح والأدب المسرحي» للسنة الثانية يشمل دراسة إسخيلوس، وسوفوكليس، ويوربيديس، وأريستوفان، وكنت أعلم مدى غنى الأدب اليوناني، ومدى ضرورته للممثل، والدارس، فاندفعت في حرارة أسأل أبي أن يأذن لي بدخول فرع التمثيل، وقد رفض أبي أولاً، ولكن الله سبحانه شاء أن يشملني برعايته، فإذا أبي يكف بتدريس اللغة العربية في فرع التمثيل، وعندما وجد أنني ساكون تلميذة له أخذني معه إلى الأستاذ حقي الشبلي المسؤول عن الفرع، وسجلني طالبة، واكتملت سعادتي.

وأما اللغة اللاتينية فإن قصة دراستي لها كانت أغرب، فقد كنت طالبة في قسم اللغة العربية، وكنا ندرس اللغة الإنجليزية، وصادف أن أستاذنا أشار في الصف، مراراً، إلى ضرورة معرفة اللغة اللاتينية لمن يريد التخصص في الأدب الإنجليزي، فشوقني ذلك إلى دراستها، وبقيت هذه الرغبة عابرة في نفسي. حتى سمعت في آخر العام الدراسي ١٩٤١ - ١٩٤٢ أن إدارة الكلية قررت إضافة مادة اللغة اللاتينية إلى منهج طلبة السنة الأولى، فرع اللغة الإنجليزية، وهنا بدأت لهفتي، أردت - بأى ثمن - أن أنتهي إلى هذا الصف لأتعلم اللغة

اللاتينية، وراجعت أستاذ المادة فاعتذر عن قبولى فى الصف، وسألنى مندهشاً: «ولكنك طالبة فى قسم اللغة العربية، فماذا تنفعك اللاتينية؟» ولم يوهن هذا عزمى، وراجعت عميد الكلية، ورجوته أن يأذن لى بالدراسة مع طلبة الإنجليزية. عندما رأى العميد لهفتى سمع لى، وانتميت إلى صف اللغة اللاتينية، وبدأت أحفظ، بحماسة، تلك القوائم التى لا تنتهى من حالات الأسماء وفصائلها، وتصريفات الأفعال، وسواها مما يعتبر من أصعب ما يعرفه طلبة اللغات.

وقد بقى حب اللغة اللاتينية فى دى حتى اليوم، وما زلت أقتنى كتب الشعر اللاتينى، وأحاول أن أقرأها كلما وجدت فراغاً، وأتذكر أننى، بعد شهرين من بدئى لدراسة هذه اللغة، أصبحت أكتب مذكراتى بها، كما نظمت نشيداً لاتينياً على نغمة الأغنية المشهورة (At The Ballalika). وكان من الطبيعى أن يكون النشيد بدائياً ساذج الصياغة، فقد كنت لم أزل طالبة مبتدئة، ولقد واصلت دراسة اللغة اللاتينية سنوات كثيرة وحدى من دون أستاذ بمساعدة القواميس، ثم دخلت صفا فيها فى جامعة برنستن بالولايات المتحدة درسنا فيه نصوصاً للخطيب الرومانى شيشرون، وقد أعجبت أشد الإعجاب بشعر الشاعر اللاتينى «كوتولوس»، وحفظت مجموعة من القصائد له، وما زلت أترنم بها أحياناً فى وحدتى، فأجد سعادة بالغة فى ترديدها. والواقع أنى أجد فى اللغة اللاتينية نفسها سحراً يجتذب كيانى كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهها الطلبة عادة، وينفرون منها أشد النفور.

وفى عام ١٩٤٩ بدأت بدراسة اللغة الفرنسية، فى البيت، مع أخى الذى يصغرنى : نزار. وكان إذ ذاك طالباً فى قسم اللغة الإنجليزية بدار المعلمين

العالية، وكان له ولع شديد بالأدب، واللغات، وهو شاعر أيضاً، وإن كان مقلداً، وكانت تربطني به صداقة عميقة، وكنا نشترك أنا وهو في غرفة واحدة تنتشر فيها الكتب على سريرينا، وطالما قام الجدل بيننا في موضوعات الأدب الحياة. بدأنا إذن، أنا، ونزار ندرس الفرنسية من دون مدرس، وذلك اعتماداً على كتاب إنجليزي يعلم هذه اللغة، أهدانا إياه عمي، وقد سعدنا سعادة بالغة بتعلم هذه اللغة الجميلة، وواصلنا تعلمها حتى أصبحنا نقرأ فيها كتب الشعر، والنقد، والفلسفة. وفي عام ١٩٥٢ دخلت دورة في المعهد العراقي، قرأنا فيها نصوصاً من الأدب الفرنسي، من مثل قصص: ألفونس دوديه، وموباسان، ومسرحيات موليير، ولكن نطقي بهذه اللغة بقى رديماً حتى اليوم، لأنني تعلمتها من دون أستاذ يلفظ أمامي الكلمات، ولم تتح لي فرصة للسفر إلى فرنسا، والحياة فيها فترة، وهذا ما يحزنني دائماً حين أجدني أقرأ، وأفهم، ومع ذلك لا أحسن الكلام، ولا النطق الصحيح.

أما الأدب الإنجليزي فقد بدأت عنايتي به وأنا طالبة في دار المعلمين العالية يوم كنا نقرأ شعر شكسبير (Sonnets) ومسرحية «حلم منتصف ليلة صيف»، وقد ترجمت إلى الشعر العربي إحدى سونيتات شكسبير، إذ ذاك. وأقبلت بعد ذلك على قراءة شعر بايرون، وشيللي. وفي عام ١٩٥٠ دخلت دورة في المعهد الثقافي البريطاني لدراسة الشعر الإنجليزي، والدراما الحديثة، استعداداً لأداء امتحان تقيمه جامعة كامبردج وتمنح بعده شهادة الـ (PROFICENCY)، وكان مستوى هذه الدراسة أعلى من ليسانس اللغة الإنجليزية، لأن طالبة متفوقة في السنة الرابعة من فرع اللغة الإنجليزية دخلت معي هذه الدورة، فكانت

النتيجة إنها رسبت، ونجحت . وكان سر نجاحى أننى انهمكت طيلة العام فى قراءة عشرات من كتب الشعر، والدراما، فى حماسة، ونهم، والواقع أن أغلب الذين اشتركوا فى الامتحان معنا قد رسبوا، ولم ينجح سوى وسوى طالب واحد خارجى لم يشترك معنا فى الدراسة بالمعهد البريطانى، وكان لهذا الامتحان امتحان ثان أعلى منه تقيمه جامعة كمبردج نفسها، ولكنى لم أقدمه، وإنما سافرت إلى الولايات المتحدة لدراسة النقد الأدبى.

وكانت هذه المرحلة تمتد عاماً، وقد أوفدتنى إليها مؤسسة روكفلر الأمريكية، واختارت لى أن أدرس النقد الأدبى فى جامعة برنستن فى نيو جيرسى بالولايات المتحدة، وهى جامعة رجالية ليس فى تقاليدھا دخول الطالبات فيها، ولذلك كنت الطالبة الوحيدة، وكان ذلك يثير دهشة المسؤولين فى الجامعة كلما التقى بى أحدهم فى أروقة المكتبة، أو الكليات، وقد أتيت لى فى هذه الفترة الدراسة على أساطين النقد الأدبى فى الولايات المتحدة، من مثل ديتشرد بالاكور، وآلن تويت، وآلن تيت، ودونالد ستاوفر، وديلمور شوارتز، وكلهم أستاذة لهم مؤلفات معروفة فى النقد الأدبى ، كما عرفوا بأبحاثهم فى مجلات الجامعات الأمريكية، وسائر الصحف الأدبية.

* * *

بعد عودتى إلى العراق عام ١٩٥١ بدأت أتجه إلى كتابة النثر بخاصة فى النقد الأدبى وفى عام ١٩٥٢ ألقىت محاضرة فى نادى الاتحاد النسائى ببغداد كان عنوانها (المرأة بين الطرفين: السلبية، والأخلاق) انتقدت فيها أوضاع المرأة الحاضرة، وعقم المجتمع العربى، ودعوت إلى تحرير المرأة من الجمود،

والسلبية وقد أثارت هذه المحاضرة ضجة في بغداد، وتحدثت عنها المحافظ طويلاً بخاصة وأن إذاعة بغداد نقلتها كاملة، وأذاعتها على الجمهور، وسرعان ما نشرتها مجلة (الآداب) البيروتية التي كانت تصدرها إذ ذاك دار العلم للملايين.

وواصلت خلال ذلك نظم الشعر ونشره، ونشر مقالات النقد الأدبي في مجلتي (الأديب) و (الآداب) ببيروت.

وفي عام ١٩٥٣ حدث لى حادث هز حياتى إلى أعماقها، فقد مرضت والدتى مرضاً مفاجئاً شديداً، وقرر الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية لها فى لندن فوراً، ولم يكن فى بيتنا من يستطيع السفر معها إلى انجلترا سوى، بسبب معرفتى للندن، وحياتى فيها فترة وبسبب إتقانى للغة الإنجليزية - وكان نزار قد سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة. كل هذا اضطرنى إلى أن أصحب أمى المريضة أشد المرض إلى لندن على عجل، والرعب مُستولٍ علىّ، فقد كنت خائفة فى أعماقى من شىء رهيب سيقع لى لم أشخصه، وقبل سفرى بأسبوع حلمت أننى أسير فى شوارع لندن وأحاول شراء تابوت ملون، وأبحث، وأبحث، وأبحث فى لهفة، ورعب فلا أجد من يبيعنى تابوتاً، ولم أقص حلمى هذا على أحد فى البيت، وسافرت بها، وتم إدخالها إلى غرفة العمليات، وخرجت منها محمولة على نقالة حيث أودعوها فى عنبر الموتى بالمستشفى ريثما تتم إجراءات الدفن المعقدة، وقد رأيتها، وهى تحتضر فى مشهد رهيب هز حياتى إلى أعماقها، وكان على أن أحضر مشاهد الجنازة والدفن وأنهض بأعبائها، وهى أعمال لم أعتد القيام بمثلها، وعدت إلى العراق بعد أسبوعين ذابلة حزينة مهزوزة النفس،

فقد كنت أحب أمي حباً شديداً لا مثيل له، وما كدت أرى إخوتي، وأقاربي يلبسون السواد وهم يستقبلونني في مطار بغداد حتى بدأت أبكي، وأبكي بكاء لا ينقطع ليلاً، ولا نهاراً وسرعان ما لاح لي بوضوح أنني مريضة، فبادرت إلى مراجعة طبيب عالجنى بالحبوب المهدئة، فتوقفت دموعي، وإن بقي الحزن يحفر في حياتي حتى اليوم بعد خمسة وأربعين سنة من وفاة والدتي يرحمها الله، وكانت حصيلتي الشعرية المباشرة، بعد وفاة أمي، قصيدة سميتها «ثلاث مرات لأمي» استعملت فيها أسلوباً جديداً في الرثاء لم يسبقني إليه أحد، وسرعان ما ذاعت قصيدتي هذه، واستقبلها الشعراء بحرارة، وإعجاب بالغين.

وقد كان من حسن حظي - وأنا في أحزاني التي هدمتني بعد وفاة أمي - أن انتخبنتني مديرية البعثات العراقية لدراسة الأدب المقارن في الولايات المتحدة ، وقد قبلت في جامعة وسكنسن، إحدى أول عشر جامعات في الولايات المتحدة، فسافرت متحمسة للدراسة أشد الحماسة، وأتاح لي موضوع الأدب المقارن أن أستفيد من اللغات الأجنبية التي أعرفها، وخاصة الإنجليزية، والفرنسية. وخلال هذه الدراسة اكتسبت ثقافة غنية رائعة أخصبت ذهني وملأتني سعادة. وقد كنت أقضي أغلب الوقت في مكتبة الجامعة الغربية التي كان لها أعمق الأثر في حياتي في تلك الفترة كما اغتنت حياتي بأفكار عذبة كثيرة متنوعة، واكتسبت من التجارب أضعاف ما كسبته في حياتي السابقة كلها. وتغيرت مفاهيمي، ومثلي، ومقاييسي، وتبدلت شخصيتي كلها.

وقد كان النظام في هذه الجامعة رائعاً، لأنه لا يتطلب كتابة أطروحة كبيرة، بل يكف الطالب بإعداد مجموعة كبيرة من الأبحاث في موضوعات أدبية متنوعة،

فكنت أجد متعة عظيمة في كتابة هذه المقالات التي مرنت قابليتي في النقد الأدبي، وما زالت الأبحاث المكتوبة بالإنجليزية تنتظر أن أترجمها إلى العربية، وأنشرها. وسبب إعراضى عنها، حتى الآن، يرجع إلى أنها كلها تتناول الآداب الأوروبية، فلا يتخللها اسم عربى، وقد ألفت أن أشعر أن كتابة الأديب العربى مقالات تغص بالأعلام الأجنبية نوع من التكلف، وإقحام لثقافة أجنبية على القارئ العربى البسيط. ولذلك أنوى أن أوسع الجانب المقارن فى أبحاثى هذه بحيث يشمل أعلاماً عربية إلى جانب الأوروبية، وإذا ذاك سأستريح إلى نشرها، وأرجو أن يتاح لى يوماً أن أفعل هذا.

وكان سفرى إلى وسكنسن عام ١٩٥٤، واستغرق إعداد الماجستير فى الأدب المقارن سنتين كتبت خلالهما مذكرات أدبية كثيرة سجلت فيها ملاحظاتى على الكتب التى قرأتها، والأشخاص الذين تعرفت إليهم، وعشت بينهم فى تلك الفترة، كما احتوت على آرائى المفصلة المركزة فى المرأة الأمريكية. ومع هذا كله، كنت فى مذكراتى أغوص غوصاً عميقاً فى تحليل نفسى، وقد اكتشفت أننى كنت لا أعبر عن ذهنى، وعواطفى كما يفعل كل إنسان حولى، وإنما ألوذ بالانطواء، والصمت، والخجل، واتخذت قراراً حاسماً أن أخرج على هذا الطبع السلبى، وشهدت مذكراتى صراعاً عظيماً مع نفسى من أجل تحقيق هذا الهدف، فكنت إذا تقدمت خطوة تراجع عشر خطوات بحيث اقتضانى التغير الكامل سنوات كثيرة طويلة.

وأنا اليوم أدرك أن تغيير العادات النفسية من أصعب الأمور، ولذلك أعتبر كفاحى المتواصل لتعديل أعماقى النفسية، ومسلكى الاجتماعى كفاحاً بطولياً،

لم يساعدنى عليه إلا الله تعالى برحمته السابغة، ورعايته الدائمة، مهما يكن فإن
فى نيتى أن أفرغ يوماً لانتخاب مختارات من مذكراتى فى مادسن/ وسكنسن
للنشر وقد أعطيت حلقة منها إلى جريدة الأهرام صيف سنة ١٩٦٦، فنشرتها
فى عددها الصادر يوم ٥ / ٨ / ١٩٦٦.

وعندما رجعت من الولايات المتحدة، مررت فى طريق العودة بإيطاليا،
وجنوب فرنسا، ثم عرجت على دمشق حيث مؤتمر الأدباء العرب الثانى فى
بلودان، وكانوا قد وجهوا إلى دعوة وأنا فى الولايات المتحدة. وكنت يومها أحس
بنوع من الأزمة أعانيه، فقد كان التعبير بالعربية لا يطاوعى تماماً بعد سنتين لم
أتكلم خلالهما إلا بالإنجليزية، وكانت حياتى الفكرية والروحية كلها تقوم على هذه
اللغة الأجنبية، وكنت أحس بذلك إحساساً قاسياً خاصة خلال وجودى فى
مؤتمر الأدباء الذى افتتحت به عودتى إلى الوطن العربى الحبيب. ولم يزايلنى
هذا الإحساس إلا بعد مرور أشهر فى العراق استعدت خلالها طلاقة التعبير
بالعربية.

وفى عام ١٩٥٧ صدرت فى بيروت مجموعتى الشعرية الثالثة (قرارة
الموجة)، وقد احتوت على منتخبات من شعرى بعد (شظايا ورماد)، ونشرتها
دار الآداب ببيروت.

وفى عام ١٩٥٨ قامت فى العراق ثورة ١٤ تموز، وأثرت فى حياتى أعنف
تأثير حتى استغرقت كل لحظة من عمري ذلك العام. وقد استقبلتها بقصيدة
ساخنة بدأتها:

فرح الأيتام بضمه حب أبوية

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمس نسائم ثلجية

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهورية

وكانت القصيدة تعبيراً بسيطاً عن الفرحة العميق الغامر. وتحذيراً من

مؤامرات أمريكا، والصهيونية العالمية:

السوق صحا يا ورد حذار

من نعمته الصهيونية

ومخالبه الأمريكية

ولكن عبد الكريم قاسم سرعان ما انحرف، واستهوته شهوة الحكم، وسمح

للشعبوية أن تمس جمال الثورة، وتقضى على مبادئها القومية التي أحبها أشد

الحب، وقد اضطرني عسف الحكم، وتهديده المستمر إلى ترك العراق، والسكن

ببيروت عاماً كاملاً (١٩٥٩ - ١٩٦٠) وخلال ذلك، واصلت نشر إنتاجي القومي

في مجلة (الأداب).

في عام ١٩٥٧ عينت مدرسة معيدة في كلية التربية ببغداد أدرس النقد

الأدبي، العروض، وبعد عودتي من بيروت عام ١٩٦٠ تعرفت إلى زميل جديد في

قسم اللغة العربية هو الدكتور عبد الهادي محبوبة، خريج جامعة القاهرة. وفي

منتصف عام ١٩٦١ تزوجنا، فكان لي نعم الصديق والرفيق والزميل.

وفى عام ١٩٦٢ صدر لى أول كتاب فى النقد الأدبى هو (قضايا الشعر المعاصر)، وقد درست فيه الشعر الحر دراسة خاصة مفصلة، ووضعت له عروضاً كاملاً اعتماداً على معرفتى للعروض، وعلى قوة سمعى الشعرى، وعلى كثرة قراعتى لشعر الزملاء من الشعراء، وقد أهديت الكتاب إلى الرئيس العربى جمال عبد الناصر، متحدياً عبد الكريم قاسم الذى كان يمقته أشد المقت.

وفى عام ١٩٦٤ سافرنا، أنا وزوجى، للعمل فى تأسيس جامعة فى البصرة حيث كان الدكتور عبد الهادى رئيساً للجامعة، وكنت أعمل فى التدريس بقسم اللغة العربية، ثم انتخبت رئيساً للقسم واستمر عملنا هناك أربع سنوات، وغادرنا البصرة إلى بغداد أواخر عام ١٩٦٨ حيث عدنا إلى التدريس فى كلية التربية سنة واحدة، غادرنا العراق بعدها إلى الكويت للتدريس فى جامعتها.

وفى عام ١٩٦٤ دعانى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة إلى إلقاء محاضرات حول الشعر فى موضوع أختاره، فعكفت على كتابة كتاب عن الشاعر المبدع على محمود طه الذى كنت تأثرت بشعره خلال فترة الصبا، يوم كنت طالبة فى فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة، وقد طبع هذا الكتاب (شعر على محمود طه) فى القاهرة عام ١٩٦٥. وكان عنوان طبعته الثانية (الصومعة والشرقة الحمراء)، وقد طبعته دار العلم للملايين.

وفى أول سنة ١٩٧٨ صدرت لى مجموعة شعرية رابعة عنوانها (شجرة القمر)، تطور فيها شعرى تطوراً واضحاً عما كان عليه فى المرحلة السابقة، مرحلة (قرارة الموجة) التى كنت خلالها أميل إلى الفلسفة، والفكر فى شعرى، ونثرى جميعاً.

وفى عام ١٩٧٠ صدرت مطولتى الشعرية (مأساة الحياة وأغنية للإنسان)،
عن دار العودة ببيروت.

* * *

وبعد، فهذه خطوات مركزة مختصرة من سيرة حياتى كتبتهما تلبية لطلبات
كثيرة ترد على من الباحثين، وطلبة الجامعات الذين يكتبون رسائل ماجستير،
ودكتوراه. أما سيرة حياتى المفصلة، ففيها كثير من الغرائب الممتعة، وأرجو أن
يتاح لى أن أفرغ لكتابتها يوماً قبل الموت.

تقدمة

بقلم الشاعرة

تضم هذه المجموعة الشعرية قصائدى التى نظمتهأ سنة ١٩٧٤، وقد
عنونتها « يغير ألوانه البحر »، وتسبق هذه القصائد مجموعة لدى دار العلم
للملايين، وقد حالت أحداث لبنان دون طبعها حتى الآن.

ولست أحاول أن أكتب مقدمة لهذه المجموعة وإنما لى ملاحظة على
قصيدتين فيها هما « زنايق صوفية للرسول » و « تمتمات فى ساحة الأعدام »
وقد ابتدعت فيهما بحراً جديداً غير مستعمل أضفت به إلى بحور الشعر الحر
الصافية. ووزن هذا البحر فى أصله العروضى « مستفعلن فاعلن فعولن » وهو
الوزن الذى يسميه العروضيون « مخلص البسيط »، وقد لاحظت فجأة أن من
الممكن أن نقسم هذا البحر إلى تفعيلتين فى الشطر الواحد بحيث يصبح هكذا:

مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن

والفرق بين الوزن الصافي وأصله في (مخلع البسيط) حرف واحد كما يلي:

مستفعلاتن مفاعلاتن

مستفعلن فاعلن فعولن

وأول سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ الذي لا يحسن العروض أو يفهمه هو { « لماذا لم ينتبه الخليل بن أحمد إلى هذا الوزن ولماذا لم يكتبه على مستفعلاتن مفاعلاتن » } وجواب هذا السؤال أن التفعيلات العشر التي جعلها أساساً لعروضه لا تتضمن الزيادات والنقصان فهو قد وضع التفعيلة «مستفعلن» دون زيادة ولا نقصان، فإذا اعترتها زيادة سبب خفيف «تن» فإن الخليل لم يسمح أن تقع هذه الزيادة إلا في عروض البيت وضربه، ومن ثم يكون لدينا «مستفعلن مستفعلاتن» ولا يجوز أن نقول «مستفعلاتن مستفعلن» لان هذا السبب الخفيف لا يزداد في حشو البيت مطلقاً. ولذلك أيضاً جعل الخليل وزن مخلع البسيط الخليلي «مستفعلن فاعلن فعولن». ومهما يكن فإذا كتبنا الوزن بزيادة حرف واحد على مخلع البسيط الخليلي «مستفعلن فاعلن فعولن» نتج لدينا «مستفعلاتن مستفعلاتن» وهو وزن صافٍ يضيف بحراً جديداً إلى شعر التفعيلة، فبتكرار «مستفعلاتن» أي عدد من المرات في الشطر الواحد ينتج لدينا شعر حر كما يلي:

مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

وما كدت أهتدي إلى هذا حتى اعتراني فرح غامر، لأن إضافة وزن جديد إلى أوزان الشعر الحر، سيوسع مدى هذا الشعر ويعطيه بعداً جديداً. وبادرت فوراً إلى نظم قصيدة «زنايق صوفية للرسول» وكانت فكرتها مختصرة في ذهني منذ حين، فتفرغت لنظمها وقلت:

البحر إغماء لحن حب، البحر زرقه

مستفعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

البحر طفل مسترسل الشعر للضحى فوق مقلتيه

مستفعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

إنكساره، رقة، وشهقه

مفاعلاتن مفاعلاتن

ونجحت الفكرة نجاحاً باهراً، وأتممت القصيدة في يسر، وعندما انتهت منها أحسست أنني أضفت إلى الشعر الحر وأوزانه الصافية السبعة، فهذا بين أيدينا بحر صافٍ ثامن. وليس يخفى أن تحول (مستفعلاتن) إلى (مفاعلاتن) بالخَبْن، وإلى (مفتعلاتن) بالطي، قاعدة واردة في زحافات الرجز وضعها الخليل نفسه.

واندفعت اندفاعاً حاراً أنظم قصيدة «زنايق صوفية للرسول» المنشورة في هذه المجموعة.... ولكن : بعد انتهائي من نظم القصيدة لاحظت أنني وقعت في خطأ تكرر مراراً عبر القصيدة ومؤداه أنني كنت أقول أحياناً «مستفعلاتن فعولن فعولن فعولن» فانتقل من تفعيلة الرجز التي بدأت بها إلى تفعيلة المتقارب، وكانت أذنى تتقبل ذلك وهو الأمر الغريب ، وقد حدث مثل هذا تماماً في قصيدة «تمتمات في ساحة الأعدام» التي هي أيضاً من (مخلع البسيط). وغازني هذا غيظاً شديداً ، فلماذا أقع أنا في هذا الخطأ فأبدأ الشطر بمستفعلاتن وأنتهى بفعولن كما في قولي:

وقلتُ في لهفةٍ أتوسل: أحمدُ. أحمدُ

مفاعلاتن فعول فعول فعول {فعول مصابة بالقبض}

والغريب أن سمعى يتقبل هذا حتى الآن. وكانت التفعيلة «فعولن»
تشاكسنى وتظهر فجأة فى أواخر بعض الأَشْطَر.
بعد ذلك حاولت أن أصحح هذا الخطأ، فوجدت أن جو القصيدة
سيتفكك، وتزول حرارة المعانى فأثرت أن أتركها كما هى على أن
أتحاشى الخطأ فى المستقبل، وبالفعل عدت عام ١٩٧٥ إلى الوزن
الجديد ونظمت منه قصيدة طويلة هى «نجمة الدم» لم أخرج فيها على
الوزن مطلقاً وإنما حافظت على «مستفعلاتن» عبر القصيدة كلها،
وهذا نموذج منها:

بيروت غابه

مستفعلاتن

ومن دمء القتلى على جفنها سحابه

مفاعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن

أين ترى البحر؟ كان بالأمس ها هنا يا بيروت بحر

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

تكتب أمواجه وتمحو وينثر الشذر والغرابه

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

والحقيقة أننى لا أدعو أى شاعر إلى استعمال الوزن الأول

المختل، وأعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية،

وإنما جاء الانتباه بعد الانتهاء من القصيدتين «زنابق صوفية

للرسول» و«تمتمات فى ساحة الأعدام» ولا شىء أذافع به عن نفسى
إلا كون هذا الوزن ابتكاراً منى ولم يستعمله الشعراء قبلى بحيث
تكون أمامى نماذج وأكون مجهزة بتجارب.
بعد هذا أضع بين يدى القارىء مجموعتى هذه، راجية أن تنال
رضاه وتعطى جديداً إلى شعرنا الحديث.

نازك الملائكة

الكويت : ٩ / ٦ / ١٩٧٦

ويبقى لنا البحر

وقفنا على البحر تحت الظهيرة طفلين منفعلين
وروحى يسبح ، عبر مروجك ،

فى نهر عينين مغدقتين

وقلبى يركض خلف سؤال
حملت براعمه عطر مرعى ، على شففتيك

سؤالك فيه عنوبة ربح الشمال
وروعة أغنية سكبتها كمنجات شوق مخبأة فى يدك
سؤالك لون سماء على برك ودوالى

سألت عن البحر هل تتغير ألوانه ؟
وهل تتلون أمواجه ؟ هل ترى تتبدل شطآنه ؟

سألت وعيناك واسعتان اتساع الرؤى

ووجهك نجم نأى

وسفنٌ مضيعة لم تجد مرفأً

سألت وهدبك دهشة طفلٍ

ورعشة سنبله ، وتموج حقلٍ

وكانت يداك شراعين منهمرين

على زورقين

وراء المدى والرؤى شاردين

وقلت، نعم ، يا حبيبي
يغير ألوانه البحرُ ،
تعبر فيه سفائن خضرُ
وتطلع منه مدائن شقرُ
ويشربُ حيناً دماء الغروبِ
ويصبح حيناً بلون الفضاءِ
يللم زرقتهُ يا حبيبي
ويحلم ، يرنو بعينين شذريتينُ
سماويتينُ
إلى اللانهاية ، يأخذ لون الضياءِ
صباحاً ويُطفئ كلُّ ثرياته في المساءِ

سألت عن البحر ، هل تتغير ألوانه ؟
وهل تتلون أمواجه ؟ هل ترى تتبدل شطانه ؟

نعم يا حبيبي ،

وبحر يلاطم وديان نفسي

ويرحل عبر موانئ لون وشمس

وعبر حقول مغيب

ويغتسل الغسق القمريُّ بأواجه ويبلل شعره

ويلقى إليه سماءً وفكره

نعم يا حبيبي ، نعم ، ويلون خلجانه

نعم ويغير ألوانه

فيشرب صُفرة شكى وظنى

ويصبح أزرق في لون لحنى

وتُبْحِرُ فِي شَذَرِ أَمْوَاجِهِ أَغْنِيَاتِي وَسُقُنِي
وَيَصْبِحُ أَبْيَضَ ، تَصْبِحُ لُجَّتُهُ يَاسْمِينَهُ
وَيَصْبِحُ أَخْضَرَ ، مِثْلَ اخْضِرَارِ الْعَيْونِ الْحَزِينِهِ
وَمِثْلَ زَبْرَجَدِ نَهْرِ النَّهَائِدِ فِي قَعْرِ حَزْنِي

سَأَلْتُ عَنِ الْبَحْرِ ! هَلْ تَتَغَيَّرُ أَلْوَانُهُ ؟
وَعَيْنَاكَ بَحْرٌ تَرَامِي وَضَاعَتِ
حُدُودَ مَدَاهُ وَشَطَائِنُهُ
نَعَمْ يَا حَبِيبِي ، يُغَيِّرُ أَلْوَانَهُ وَيَصِيرُ بِلَوْنِ الرَّمَادِ
لَهُ كُلُّ طَعْمٍ لِيَالِي السَّهَادِ
رَمَادِيَّةٌ كُلُّ أَسْمَاكِهِ ، وَرَمَادُ
لَأَلِيهِ ،

إِسْفَنْجَةٌ ،

أخطبوتاته ، ورماد

مدائنه الفارقات القباب ، ولون الرماد

جبين غريق طفا وتوسد أمواجه الملح ، مغمى عليه

ويبتلع الماء ، والملح عوسجة ورماد على شفثيه

وبحرى وبحرك ، بحر الرماد

حنون الفؤاد

له قسوة تلثم الجرح ، تفرش لين وساد

وبحرى وبحرك شاكس جسم الغريق الرمادى

أرسل موجته القاسية

لتلطمه، وعروس بحور لتحمله ،

للرمال النبيذية الناسية

ويرقد من نون وعى على الجرف ، مغمى عليه ،

وبحر الرماد

يرشرش إغماءه ، والشبابُ الغريقُ /

تغازل خديه ، موجة حب ، وتغسل جبهته وتُريقُ

عليه المحبة والملح والرغو ، ...

حيناً يغطي الجسدُ

وحينا يعود ويرتدُّ عنه ، ويتركهُ لذهول الأبدُ

ويا من تسائلنى :

هل يغيرُ بحرى وبحركَ ألوانه ؟

ومثل الغيوم يلونُ ، يرسمُ ، بالزيت والفحم شطآنه ؟

حبيبي لقد كان لي في الطفولة جدُّ
طويل كمثل جدائل شعرِ ربيعٍ وريفٍ
وكان لجدِّي عمقٌ ،
وظلُّ ،

وبعدُ

له عنف عاصفة في خريفٍ
وكان مدى في بحارِ مطلسمة لا تُحدُّ
وجدِّي كان قوياً كموجة بحرٍ مخيفٍ

وفي ذات يوم سرتُ ألسنُ النار في بيتنا
مضت تمضغ الباب ، تُشعل لين الستائرُ
يدور اللهب دوائرُ

يزمجر في شُرُفات مُنَّانا ، ويضحك من رعبنا
يهدد أن يتوسّع ، يركض في حيننا
وينذر أن يتغذى خدوداً ،
شفاهاً ،

ظفائرُ

ويقتال حتى شباب البيادرُ

وأقبل جدِّي مندفعاً مثل موجة بحرٍ
وأرسل صيحة هول وذعرٍ
تحدّر في عنف إعصار نوء ، يسب ويلعنُ
شثائمهُ مطر وحنانُ ، شراستهُ بيت شعرٍ ملحنُ
وهمسُ صلاة ، ونجمة فجرٍ
وزورقٍ عطرٍ

ومدُّ السباب على شفّتيه غدِيرٌ ملوّنٌ
وأطفأ جدى الحريق ، وأنقذ هدى وشعري

حبيبي ، وجدّي قد كان بحرا
يغير ألوانه وتصير محاجر عينيه سوداً وخضراً
يبدّل أمواجه ، يترامى ، يصوغ لآليءُ
يسيل ينابيع ، يُرسي شواطئُ
ويبدع مداً ، ويصنع جزراً
يبعث عبر ازرقاق الخليج جزائرَ سُقرا

وكانت جرادله وهي تلعن ، كانت قماقم بلُسمُ
تكسر أسورة النار ، عن ساعد لِينِ وذراع ومعصمُ
وقسوة أمواج بحرى صارت أكفأً وصدراً
لتحمل جسم الغريق الرمادى تمطره قبلاًتٍ وزهرا
وترميه فوق ضفاف السلامه
رفيف جناح حمامة

وتعطيه عمراً جديداً

وتزرع إغماءه حُلماً

وسنابلَ ذكرى

وبردَ غمامه

عن اللونِ والبحرِ تسألني يا حبيبي ؟

وأنت شراعى ،

وألوان بحرى

وغيبوبة الحلم فى مقلتي

وأنت ضباب دوربى

وأنت قلعوى ،

وأنت ذرى موجتى

ووردة حزنى ، وعطر شحوبى

عن اللونِ والبحرِ تسألنى يا حبيبي

وأنت بحارى

ومرّجانتى ومحارى

ووجهك دارى

فخذ زورقي فوق موجة شوقٍ مغلقةٍ ، خافية
إلى شاطئء مبهمٍ مستحيلٍ ،
فلا فيه سهلٌ ولا رابيه

إلى غسقٍ قمرىّ المدارِ

عميقِ القرارِ

وليس له فى الظهيرة لونُ
وليس له فى الكثافة غصنُ
ولا فيه هونٌ ، ولا فيه أمنُ

هنالك سوف نضيعُ

وناكل دفاء الشتاء ونقطف ثلج الربيعُ
ونغزل صوف الصقيعُ

هناك لا طول للظل في حُلْمنا لا قِصرُ
ولا دفتراً للقدرُ
ولا شيء يمكن أن يرتقيه النَّظْرُ
سوى موج أغنية تتحدّر عبر جبال القمر
ونصْحكُ نبكي وعيناك تعكس لون البحْرُ
ويبقى لنا اللونُ ،
والبحرُ ،
والأبد المنتظرُ

١٥ جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ

١٩٧٤/٦/٥ م

الماء والبارود

من ذكريات حرب رمضان (أو أكتوبر) سمعت الشاعرة أن
فرقة من الجيش المصرى فى سيناء كان أفرادها
صائمين ، وحين موعد الإفطار وقد نفذ الماء عندهم
فراحوا يتضرعون إلى الله. فجاءت طائرات إسرائيلية
وقصفت المعسكر فتفجر الماء من الأرض حيث كانت
مواسير المياه اليهودية مدفونة .

الله أكبرُ

الله أكبرُ

هتافة الأذان فى سيناء تُبجِرُ

من موجها تسيل فى الصحراء أنهرُ

الله أكبرُ

نداءُ رحمةٍ نَدِّ تَشْرِبُهُ الرِّمَالُ
مَدَّ جَنَاحِيهِ ، ارْتَمَى فِي حُضْنِ التَّلَالِ
مَحْمُولَةٌ أَنْغَامُهُ عَلَى شِرَاعِ أَبْيَضٍ مَرُورُهُ مِعْطَرُ

الله أكبرُ

يَا صَائِمُونَ أَفْطَرُوا
مَنْ شَفَةِ الْمُؤَذِّنِ الْخَاشِعِ يَهْمِي الْمَطَرُ
وَاللَّهُ بَاسِطٌ عَلَيْكُمْ أَجْمَلَ الظَّلَالِ

تسبيحة معطره

ورحمة من السماء انحدرت معسولة مقطره
يشرب تهويماتها المعسكر القابع في الظلماء
عطورها منهمره
على جنود مصر في سيناء

تجمعوا وخيموا فوق قفارٍ مُحَرَّقاتِ الرمل في الصحراء
وهم عطاش لم ينوقوا منذ أمس الماء
شفاهم منعصره
صيامهم من عطش حناجرٍ مستعره
لكن في وجوههم ضراوة الصاروخ والمدافع المزمجره
و (الله أكبر) على شفاههم غناء
بنورها ، بسرّها يزحزون القلعة الشّماء

ومن لُهاث العَطش القاتل باتوا يشربون حُرقة الهواءُ
عيونهم تستمطر السماءُ
ربَّاهُ فجرٌ بين أيدينا عيونُ الماءِ
هاتِ اسقنا يا ربَّ من لدنكَ كأسَ رحمةٍ مطهره
يا واعدِ المؤمنَ بالصحو وبالظلِّ الندى الظليلُ
هاتِ اسقنا كما سقيتَ الطفلَ إسماعيلُ
كما رويتَ أمَّهُ الوالهةَ المنكسره
بعد هيام ضائعٍ طويلُ
في مدُن العويلِ

جنود مصرَ في تلال النار والحُمى
وصفرة الرُّبى المبعثره

جاءوا لوجه الله ذاقوا لذعة الصيام
تهدجت تحت أكفهم صواريخُ ،
وكانت لهمو الشرابَ والطعامُ

جنود مصر نقمة منفجره
وحرقة إلى كؤوس الماء لا تنامُ
إيمانهم صيرُ سيناء لطيارى اليهود مقبره
رمالها مزمجره
وهم عطاشٌ يتلوون صدىً وتعطش الخيامُ
وحقد إسرائيل قد صيرُ جناتِ الوجود مجزره
وامتصَّ نُسغَ الشجره

رملٌ... ، وريحٌ تزفرُ...
وبطن وادٍ ساكنٍ معفرٌ
ينفض في جانبه العطشان بيت الله
وخيمة صغيرة لهاجر... وليس من حياه
لا ظلُّ نديَّةٌ لا مهدُ أعشابٍ ولا مياه
وصوتها يهتف : إبراهيمُ !
يا مغدق الحنان والرافة ، إبراهيمُ
لأين تمضى مسرعاً ؟ لأين إبراهيمُ ؟
وفيم قد تركتنا في قلب رمضاء هنا نهيم ؟
لا حبُّ ، لا شفاهُ
تمنحنا أغنية ، تبارك ابتهالتنا في خشعة الصلاة
وحولنا وادٍ سحيقٌ مقفرٌ ضيِّعنا مداه

وليس من شاةٍ هنا فما الذي سننحرُ ؟
وليس من شجيرةٍ تُظِلُّنا وتُثمرُ
وليس من سحابةٍ تمنحنا رشاشها وتُمطرُ
ويهتف الصوت الحزين :
أين قد تركتنا ؟ وفيم إبراهيم ؟

ويختفي خلف التلال شخصُ إبراهيمُ
وهاجر باكية والطفل إسماعيل فوق صدرها يتيمُ

الله أكبرُ
يا صائمون أفطروا
من أين يا رب لنا بالماء ؟

جرارنا عطشى وتمتدُّ حوالى جَدْبنا الصحراءُ

شفاهنا من عطشِ سينا

ولا سحاب ، لا دموع ، ربُّ فى السماءُ

ويركع الجنودُ مصروعين فى ضبابة الإغماء

عيونهم تَحْرُقُ يستعرُّ

رجاؤهم يُحتضرُّ

على الرمالِ يَضْمُرُّ

ويَضْمُرُّ

ويَضْمُرُّ

الطفلُ إسماعيلُ يبكى عطشا

لم يبقَ فى خديه لونُ وقمرُ

وهدبهُ يسحُ إيقاعَ مطرٍ

وغصن جسمه ذوى وارتعشا

وانكمش الوجهُ الوضى المقمراً

وفى تراب مكة تبعث الشعرُ الجميلُ الأشقرُ

وقلبُ أمه الحزين برعمٌ منهصرُ

ودمعها على مرايا وجهها ينحدرُ

تهيم فى العراءِ ،

تجتاز سهولَ النار فى زهولها وتعثُرُ

ويكتوى من دمعها المحموم حتى الحجرُ

وسبع مراتٍ سعتُ والهةً بين الصفا والمرؤة
وتارة يُنبت جرحاً خدُّها

وتارة تسقط ولهى فى قرار هوء

وكبوة ، وكبوة ، وكبوة

قد تركت عشرين خطأً من دمٍ على سنا جبينها

والريح صبت هولها ، فراغها ، عويلها

فى حدقتى عيونها

تمزقت ثيابها وأغدقت

على حواشيها الهوى من شوكتها وطينها

يا هاجرُ الحزينة اهدأى
رِيَانَهُ هذى الرياح أقبلتُ ، تحملُ أحلى نبأً
لطفك الصارخ فى دثاره المهترىء

تقطرُ الرياحُ حباً فى شفاه الطفلِ إسماعيلُ
تلمسُ خديه بعطر نسمة بليل
وتسكب الحياة والخضرة فى كيانه النحيل
وقالت الرياحُ : إسماعيل
فردد البيت العتيق تحت حر الشمس : إسماعيلُ
وانحنت السماء قوساً أزرقاً يلثم إسماعيلُ

الله أكبرُ
ضجُّ بها المعسكرُ
يا صائمون انتظروا
إن وراءَ جذبكم جذرَ حنانٍ سوف يزهرُ

وخلف حيرة العطاش كوكبُ أضاءُ
ورحمة من ربكم تتحدرُ

الله أكبرُ
يا صائمون ربُّكم قد سمع الدعاءُ
والطائراتُ أقبلتُ تهدرُ في الفضاءُ
تقذفكم صواعقاً وتمطرُ
على روابيكم لظى حرائقِ
تريد أن تفرقكم في بركِ الدماءُ

والله في سمائه يقدرُ

يدبرُ

يمطر فوق صومكم أنداءُ

يسقيكمو من يد أعدائكمُ أحلى كؤوس الماءُ

والله للمؤمن ثلجٌ مغدقٌ في لهب الصحراءُ

ووجهه الغامر في شراسة النيران كوثرُ

وطوق وردٍ أحمرُ

وبلسمٌ وماءُ

ماذا تقول الرياحُ ؟

ماذا يغمغم الندى المنثور مثل ثلجةٍ

على خدود الرياحُ ؟

يرفرف الهواءُ لاثماً خدودَ هاجرٍ
يشرب من دموعها ، يُلقى على وجنتها
طراوةً وضوءَ فجرٍ ماطرٍ

وفي مرور عطره نداءً

يأتي من السماء

يمسحُ يأسَ الأم ، يروي قلبها الجريح

يا هاجرُ... الصبىُ إسماعيلُ سوف يرتوى

برحمة من ربه ، وتنطوي

دموعك المحمومة الحزينه

سيدفق الماءُ ويسقى سيئهُ الغصنَ الكسيرَ الملتوى

يرطبُ الماءُ لإسما عيلَ عينيه ،

يديه ،

فمه ،

جبينه

يعطيه ياسمينه

يا هاجر الحزينه

وسبعُ مراتٍ سعتُ باكيةً بين الصفا والمروة

تحمل فوق خدّها وردة حزن حلوة

ودمعها وحزنها على شفاه الريح

تنهيدة وغنوة

يمتصّها سمع المدى الجريح

وطفلها يصيح

الله أكبرُ

يا صائمون انتظروا

من أين يا ربُّ لنا بالماءُ

من كف أعدائكمو سوف يسيل الماءُ

ويُخصب الصحراءُ

نيرانهم تخضِرُ في حُضن معسكراتكم مشاتلا

وقصفهم يُنبِت في جراحكم سنابلا

يملاً راحتكمو بالماءُ

يسيل ما بين خيامكم

جداولاً ، جداولاً

فيشرب العطشانُ
من مطر الرحمة والحنانُ
ويصعد الأذانُ
وترشف الصحراء من عنوبة الصيام والقرآنُ

ماذا يقول الطفل إسماعيلُ
عويله في الريح شاجٍ ، مُحرقٍ ، طويلُ
وهاجر دموعها صلاةً
وصمتها شفاءً
يائسة تصيح : يا ربّاهُ
من أين يأتي الماءُ
في هذه المفازة الجذباءُ ؟
وتهطل الدموع من شواطئ المحاجر السوداءُ

يا ربّ أعط طفليَ الظمانَ كأسَ ماءٍ
اسقِ صغيري ، اسقِ إسماعيلُ
يوشك أن يموت يا ربّي إسماعيلُ

وسقطتُ مُغمىً عليها ، وانسدال شعرها الطويلُ
فوق الثرى جداولُ سوداءُ
سنابلُ بعثرها الهواءُ

ومرت الريح على حرائق الرمضاءُ
وليس من صوتٍ سوى العويلُ
عويلُ إسماعيلُ
والله يصفى والسماءُ دمعاً تسيلُ

الله أكبرُ

يا صائمون أفطروا

نداءُ رحمةٍ طرىّ الصوتُ عذبٌ ملاً الأرجاءُ

وينبش الجنود في الرمال ، ما من ماءُ

رباه ما من قطرة من ماءُ

نهار صومنا انقضى ، وليلنا قد جاءُ

وحولنا تحترق الصحراءُ

ووردةُ الرجاءُ

يابسة في دمناء

في فمنا ،

فما من ارتواءُ

والموتُ يا رباهُ يهمل مطراً تصبهُ قوافل الأعداءُ

* * *

سبحان من قد أنهض السماء
من دونها أعمدة ، في لا نهاياتٍ من الضياء
في غابة من شُرْف الكواكب البيضاء
سبحان من يسقى تعطش الأسي ، ويسمع الدعاء
ويُمطر الشفاء
على مريض جائع شفاؤه أسطورة على فم الدواء

الله أكبر
الكونُ حول الطفل مبهورٌ يكبرُ
عطشانُ إسماعيلُ عطشانٌ ولم يعد على العذاب يصبرُ
رجلاه تضربان في حزنٍ ترابٍ مكة بجذبه ومحله
وتدفقُ المياه نشوى عذبة ،

من تحت رِجلِهِ
يسيلُ جدولٌ برودٌ مُسكِرٌ من تحت رِجلِهِ
وتصرخُ الأمُ : يسيلُ الماءُ
الماءُ يا ربِّي ، يسيلُ الماءُ
من تحت رِجلِي ولدي تتبَعُ عينُ ماءً
وتحملُ الطفلُ تَبلاً الشفتينِ بلَّةً بجرعة من ماءً

تسقيه هاجرٌ وضوءٌ من جراح وجهها يسيلُ
وشعرها المسترسلُ الطويلُ
منسدلٌ يخفق حول وجهه الجميلُ
وابتسم الطفلُ ! ويا هاجرُ !
صلى لمُزيحِ الموتِ والظلامِ

قد ارتوى طفلك إسماعيلٌ وأنجأبُ ضبابٌ دمهعه ونامٌ
والماءُ يا هاجرُ يهـمى زاحفاً ويكثرُ

ينتشرُ

ينتشرُ

يسقى ترابَ مكةٍ تيارُهُ المنهمرُ

سبحان من أغدق من سمائه الرحمة والأمانُ
مفتّح الورود في يبوسةِ الكتبانُ
وساكبُ الشذى نهوراً في قفار الملح والدخانُ
وهذب مقتليكِ ، يا هاجرُ ، غيم ممطرُ
من شكره لربه يقطرُ ثم يقطرُ

واللهُ معطى الماءِ عِطْرٌ وِغْناءُ مُسْكِرٌ
فى شفةِ الغيمِ ، وِليلٌ مَقْمَرٌ
يَعْلَمُ النجومِ كيفَ تَسْهَرُ
ويُخبرُ العيونَ والأهدابَ كيفَ تُأسِرُ
والوردَ كيفَ يُكْبِرُ

اللهُ أَكْبَرُ

اللهُ أَكْبَرُ

جنودَ مصرِ الصائمينِ !

أهْ قد أنْ لكم أنْ تَفْطروا

لا يكذبُ اللهُ ولا يؤخِرُ

ألقوا بأمر الله يا يهودُ
قنبلةً ثقيلةً وأنشِقْ يا أخدودُ
فى باطن الأرض هنا . ولتنبجسُ يا ماءُ !
جداولاً تسقى العطاش . إنبجسُ يا ماءُ !
منابعاً غزيرة تُثرثُ
بأمر رب الماءِ
لينبتقُ منك شذىً وسكراً
ما بين خيمات جنود مصر فى سيناءُ

ويشرب الجنودُ
يسقيهمو الله رحيقاً نابعاً من شفة البارودُ
تُحييهمو قنابل اليهودُ
فيرتوى الأحياءُ

ينبعثون من قرار السقم والإغماء
حتى الذي صام ومات ،...
سوف يصحو موته ويفطر

يذوق طعم الماء

يغسله الماء من الدماء

فيشكر

ويشكر

والأرض تستقبله مبسوطة الأحضان بالورود والأشياء

يزغرد الموتى له، يرشرون جرحه الدامي

بماء الورد والحناء

فقبره وسائد خضراء

وموته حلم جميل غارق في اللون والضياء

ومن بعيد يرتدى في سمعه نداءً
وليس أحلى من صداه... ذلك النداء
الله أكبرُ
الله أكبرُ

وانبجس الماء النмирُ حيث عسكروا
ونام طفلُ الضوء إسماعيل : حول وجهه يضوعُ عَنَبْرُ
وأشرق العالم بالضياءُ
سبحان معطى الماءُ
مفجرُ الندى من الصحراءُ
ومُنبت الزنبقِ ، معطينا نهورَ الشَّعرِ والغناءُ

يا ربِّ وُلِّمُطِرُ عَلِيٍّ مِنْ سَمَاكَ الْأَشْطُرُ
وَالْأَبْحُرُ

وَلتَسِقِ شِعْرِي أَنْتَ يَا مَمْطَرُ يَا سَقَاءُ
يَا غَازِلَ الْأَشْدَاءِ

يَا مَنْ بِسُقْيَاهُ وَرُودِي تَكْبُرُ

وَأَغْنِيَاتِي تَطْهَرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ

٢٦ من ذي الحجة ١٣٩٢ هـ

١٩ / ١ / ١٩٧٤ م

زنابق صوفية للرسول

قصيدة حب للرسول الكريم في صيغة معاصرة.

البحر إغماء لحنِ حُبِّ ، البحر زرقه

البحر طفل مسترسل الشعر ،

للضحى فوق مقلتيه انكساراً ،

رفقة ،

وشهقه

البحر تلهو عرائس الماء فى تراميه ألف جوقه
يلبسن غيماً، ينشرن أجنحة من ضبابُ
عرائس البحر ضيعتنى
زورق شوق هيمان فى فضة العبابُ
وصيرتنى
فراشة الرغو والسحاب
وملء روى وجه حبيبي
تسيحة عذبة ونجمه
وبرد نسمة
وجه حبيبي أكبر من لا نهاية البحر ، من مداهُ
يسد أقطاره الزرق ،
يطوى طيوره ، موجهُ ، رؤاهُ

وجه حبيبي : زنابق ، أكؤس ، مياه
وجه حبيبي واللانهيات عالم واحد
ليس يُشَطَّرُ أو يتجزأ

يا بحر قل : أين ينتهي ذلك الوجه ؟
قل أين أنت تبدأ ؟
وجه بحر أضيع فيها ، وينطفى ضوء كل مرفأ
ومقلتاهُ ،
أين ترى تنتهي ؟ وفي أى نقطة تبدأ البراءة ؟
وما حدود الألوان فيها ؟
وكيف يمتصُّ منهما البحر ليله ؟
كيف يستعير الضحى ضياءهُ

وجه حبيبي ، يا بركة الصحو والوضاءه
وجه حبيبي كسرهُ الموج واقتناه
أشعة ، زورقاً ، شراعاً
يحضن أفقاً ملوناً ، يرتدى سماءه

وكان قلبي ، وكان قلبي
يسبح عبر استغراقه خصبه المرايا
في موج غيبوبة وتيه ، في حلم حب
مضيّع في مروج هُذب
يجوب لَجّ البحور بحثاً ،

عن لؤلؤ ناصع فيه ما في قلب حبيبي

من ألق السرُّ ، من عطور ، ومن خفايا
من نغم دافىء الهبوبِ
يتمتم النبع فيه وتتساب ريح الجنوبِ
كنت على البحر أترع البحر من منايا

وجاعنى طائر جميلٌ وحطُّ قربي
وامتصَّ قلبي

صبُّ على لهفتى السكينة

ورشُّ هدبي

براءة ، رقة ، ليونه

وقلتُ يا طائرى ، يا زبرجدُ

من أين أقلت ، أى نجم أعطاك لينهُ ؟

يا نكهة البرتقال ، يا عطر ياسمينه

وما اسمك الحلو؟

قال : أحمدُ

وامتلاً الجوُّ من أريج الإسراء ،

طعم القرآن ،

وامتدَّ فوق إغماءة البحر ضوءٌ ،

من اسم أحمدُ

وقلتُ في لهفة أتوسلُّ: أحمد، أحمد!

ناشدتُكَ الله ، لا تتساقط غبار نجمٍ مفتت ،

حلمٌ عابدة في الدجى يتبدد

عيناك ليلة قَدْرِي وريشك شمع ومعبد

واسمك يا طائري أعذبُ اسم : أحمد ، أحمد

* * *

أحمد كانت عيناه بحرا
تسقى يباب الوجود كانت تنشر عطرا
تنبت في الصخر مرج شذر وأقحوان
تسيلُ نهرا
من زعفرانٍ
أحمد قد كان يانعاُ تنتمي الدوالي إلى جبينه
وفي عيونه
نكهة أرضى ، وطعم نهري ، وعطر طينه
أحمد قد لاذ بي ، ونمى أهداب لحنى
في ولهٍ راعشٍ الحنانِ

أحمد من ضوءه سقاني
أحمد كان البخور والشمع في رمضان
أحمد كان انبلاج فجر ، وكان صوفية الأغاني
وأحمد في مروج تسيحة رمانى
كلا جناحيه بعثرانى
كلا جناحيه للمانى

من أبد الضوء جاء أحمدُ
من غابة العطر والعصافير هلُّ أحمد
عبر عطور القرآنِ ، عبر الترتيل والصوم ، شَعَّ أحمد
من عمق أعماق ذكرياتي
من سنواتي المختبئاتِ
في شجر السُّرو ، من عطور الخشخاش واللوز
وَجْهٌ أحمدُ

يا طائر الفجر ،
يا جناح الزنابق البيض ،
يا حياتي

يا بُعْدَى الرَّابِعِ المَوْسِدُ

فِي أَغْنِيَاتِي

يا طَلْعَةَ المِشْمَشِ المَوْرِدُ

فِي زَمْنِي ، عِبْرَ نَهْرِ عَمْرِي ، فِي كَلِمَاتِي

أَحْمَدُ ، أَحْمَدُ !

يا لَوْنُ ، يا عَمَقُ ، يا وَجْنةَ السِّرِّ ، يا انْفِلاتِي

مِن جَسَدِي ،

مِن سِلَاسِلِي ،

مِن ثُلُوجِ ذَاتِي

من كل أقفال أمنياتي
يا طائر الصمتِ ، والغموض الجميل ، يا شمعدانَ معبدُ
أنت المدى والصعودُ ،
أنت الجمال والخصب ،
أنتَ أحمد

يا رمضانى ، يا سكرةَ الوجد فى صلاتى
يا وردتى ، يا حصادِ عمرى ، يا كل ماضٍ ، يا كلُّ أتى !

* * *

ويا جناحي نحو سمائي ونحو ربّي
يا قطرة الله في شفاه الوجود ، يا ظلتي ، وعشبي
انقرّ تسابيح صوفية من على شفّيتنا

بعثرُ قرائن بيضاً وخضراً في صحن قلبي
يا سُبُحاتي ،

يا صوم أغنيّتي ،

ويا سنبلأ طرياً

إني أنا حرقة المتصوّف في غسق الفجر

أحمد ، أحمد ،

هل أنت إلا طائر ربي

يا تلج صيفي ، يا لين سحبي

يا ضوء وجهٍ يطلع لي من كل جهاتي :

شرقي وغربي

ومن شمالي ، ومن جنوبي ، من كل تعريشة ودرجٍ

يطلع أحمد ، يطلع أحمد ، وجها نبياً

ملقأً بالغناء والأنجم الشمالية المحيا

* * *

أحمد يا صافياً مثل أمطار آذار

يا ثلج أول الموسم الرحيم

مثل رفيف الأهداب فى أعين النجوم
أحمد يا شاطيء الأبدية
عبر سماءٍ روحية الصمتِ ، ليلكيه
تشرب صوفية الغيوم
يا لاعباً بالضباب ، يا عطشَ المجدليه

* * *

أحمدُ ، أحمدُ

أنا وأنتَ ، الطبيعة ، البحرُ... جوُّ معبد

شمعة نذرٍ في خاطر المرتقى تتوقد

والله في حلمنا المورّد

شباك عسجد

شباك عسجد

* * *

أحمد يا توق مقلتينِ

مضيئتينِ

خاشعتينِ

بالسرِّ والعمق مملوءتَيْنِ

يا وترأ من قيثاره الله ، يا وردُ ، يا بحة المؤذن

يا أثراً للسجود ندَى جبين مؤمن

* * *

أنا وأحمد

أنا وأحمد

سكون ليلٍ ورجعُ تسبيحةٍ تتنهدُ

يحبنا البحرُ والهديرُ

تعشقنا موجةٌ وتغازلُ أغنيتينا

عرائسُ الماءِ والصخورُ

نحن قرابينٌ في المصلَى ، نحن نُذورُ

أنا وأحمد

نشوةٌ قديسةٌ تتعبدُ

سطورٌ حبٌّ ممحوَةٌ خلفها سطورُ

نهرٌ مديدٌ ، ولا عبورُ

أنا وأحمدُ
يحبُّنا الليلُ يسهرُ

يشتاقُ أعيننا

وبأسمائنا يتهدُّ

يلثمُ أقدامنا البحرُ يحملنا في اتجاه

بعد اتجاهِ ،

أواه لو أنت أحببتنا أنت يا إلهي !

* * *

ومقلتا أحمدٍ صلاةً ،

مغفرةً ،

موعدٌ ،

بسملة

جناحه يجرف الخوفَ ، والحزنَ من حياتي

يزُيحُ أستاري المُسدله

يفتح في عمري كل بؤابةٍ مُقفله

يمنحني للوجود شعراً ، أذانَ فجرٍ ، غيبوبةً ، ركعةً ، سنبله

أحمد زنبقة الله تقطر فوق صلاتي

تنقط عطراً مذوباً في تنهداتي

أحمد فوق شواطئ وعيي : فكرٌ، محبّه
والبحر من دون مقلتيه موتٌ وغُربه

من دونه العمر جرف ليالٍ ،

مثل الخطايا ، سوداء ، رطبه

أحمد توبه

أحمد توبه

* * *

وطارت الطير في الصباح

طارت جميعاً تلعبُ في الغيم والرياحُ
وتنقر الضوء فوق بحرٍ بلا انتهاء
ولم يطر أحمدٌ ، ظلُّ قريبي
وظللتنا سحب مبقعة بالضياء

كنا نغنى

للحبِّ ، للبحر ، للسماء

كنا شرعيينِ شاردينِ

مضيئينِ

في غابِ لحنِ

تكسرتُ في غنائنا الشمس والمرافى واللانهاية

تكسرتُ كل ضحكاتنا ، كل أشواقنا في مدى حكاية

والمدُّ جاءُ
يلثمُ أقدامنا ، يتكسرُ

أحمد ، أحمد ،
نحن ، أنا ، أنتَ والأعلى
ليلٌ وصمتٌ ،
والله في روحنا غناء

هـ رمضان ١٣٩٤

١٩٧٤/ ٩ / ٢١ م

دكانُ القرائين الصغيرة

في ضباب الحُلم طوّفتُ مع السارين في سوق عتيقِ
غارق في عطر ماء الورد ، وامتدّ طريقي
وسّع الحُلم عيوني ، رش سُكراً في عروقي
ثملت روحى بأشذاء التوابلِ
وصناديق العقيقِ
وبألوان السجاجيد ،
بعطر الهيل والحناء ،
بالآنية الفرقي الغلائلُ

سُرقت رُوحى المَرايا ، واستداراتُ المَكاہلُ
كُنتُ نَشوى ، فى ازرقاقِ الحُلمِ أمشى وأَسائِلُ
أين دُكانُ القرائينِ الصغيرِہ
أشترى من عنده فى الحلمِ قراناً جميلاً لحبيبى

يقتنيه لحنِ حُبِّ ،
قَمراً فى ليلَةِ ظِلماءِ ،
خبزاً وخميرِہ

عندما فى الغدِ يَرحَلُ
من مطارِ الأَمسِ والذَكرى حبيبى
يتوارى وجہه خلفِ التواءاتِ الدروبِ

* * *

سرتُ في السوق ،

إذا مرَّ بقربي عابراً ما ،

أتمهل

ثم أسألُ :

سيدي في أي دكان ترى ألقى القرائن الصغيرة

أي قرآن ، سواءً أحواشيه حروف ذهبية

أم نقوش فارسية

أي قرآن ؟..... وفي حلمي يقول العابرُ

لحظة يا أختُ ، قرآنك في آخر هذا المنحنى ، في مندلى

اسألي عن مندلي
فهو دكان القرائين الصغيره
ويغيب العابرُ...
وجهه في الحلم لونُ فاترُ...
ثم أمضى في الكرى باحثهُ عن مندلي
حيث أبتاعُ بما أملك قراناً وأهديه حبيبي

حينما يرحلُ عنى في غدٍ وجه حبيبي
وتغطيه المسافاتُ وأبعاد الدروبِ
حيث أبتاع من الدكان قراناً صغيراً لحبيبي

ثم أهديه له عند الوداع
ليخبى ضوءه في صدره برعم طيب
وليؤويه إليه حرز حبي

وعصافيري المشوقات ،

وتلويح ذراعي

واختلاجات شراعي

* * *

سرتُ في حلمي في السوق قريره
أسرتُ روعي السجاجيدُ الوثيره
وأواني عطرٍ ماء الورد ، والكعبةُ صوره
نعستُ ألوانها في حُضنِ حانوتٍ ،
وفي حلمي مضيتُ

في دمي شوقٌ لدكان القرائن الصغيره
وحلمتُ
وحلمتُ

بقرائنٍ كثيراتٍ ، وأختارُ أنا منها ، وأهدى لحبيبي
في صباح الغد قرآناً ، ويؤويه حبيبي
صدره تعويذة تدرأ عنه الليل والسُعلاة في أسفاره
تزرع اسم الله في رحلته ، تسقيه من أسرارهِ

* * *

كان كلّ الناس لي يبتسمون
وعلى لهفة أشواق سؤالي يحنون
زرعوا حلمي ورودا
وسّعوا السوق زوايا وحدودا
كلهم كانوا يشيرون إلى بعض مكانٍ غامضٍ إذ يعبرون
يهمسون :

اسألي عن (مندلي)

ابحثي عن (مندلي)

دكة في آخر السوق وتُلفين القرائن الصغيره

أطعموا قلبي من نكهة كُتبٍ عنبرياتٍ كثيره
بينها ألقى عصافيري القرائن الصغيره

حيث أختارُ وأهدى لحبيبي
واحداً يحميه من ليل الدروبِ
ووشايات المغيبِ
واحداً يحمه في الطائرهِ
باقّةً من زنبق الله ، وسُحُباً ماطره

* * *

سرتُ طول الليل في حلمي ، ولكن أين ألقى مندلي ؟
شعبُ السوق حناياه ،
ترامي ،
وتمددُ

صار عشرين ، دورباً وزوايا

وفروعاً وخبايا

وتعدّد

وتعدّد

حيرتى أبصرتها طالعة من قعر آلاف المرايا

قذفتنى الإمتدادات ومصتنى الحنايا

وأنا أشرب كوباً فارغاً ، والسوق مُجهدٌ

تحت خطوى ، ودمى يلهث شوقاً

وأنا أعطش فى أرض الرؤى ، أذرعها غرباً وشرقاً

لست أُسقى ، لست أُسقى

ضاع منى مندلى
ضاع ، لا القران ، لا الأشداء لى
ما الذى بعد عطورى ، وقرائنى تبقي

* * *

مرّ بى فى سوق حلمى ألف عابر
كلهم قالوا : - وراء المنحنى التاسع يحيا مندلى
حيث قرانى وعطرى المتناثر
حيث ألقى مندلى

مندلى يا أنهرا من عسلِ

يا ندىً منتثرًا فوق بيادرُ

يا شظايا قمرٍ مغتسلِ

فى دموعى ،

يا أزهيرُ من الياقوت نامت فى غدائرُ

يا هتافاتِ أذانِ الفجرِ من فوق منائرُ

مندلى يا مندلى

اسمه فوق الشفاهُ

فلةٌ غامضة اللون ،

وشمعُ ،

وتراتيلُ صلاةُ

وزروع ومياهُ

وأنا مأخوذة الأشواق أدعوه ولكن لا أراه
وأنا من دون قرآن حبيبي

ومع الفجر سيرحلُ
في انبلاج الغسق القانى حبيبي
وشفاهى صلواتُ تترسلُ
وعناقيد دموع تتهدلُ
انبثق يا عطش السوق انبثق يا مندلى *
يا قرأئين حبيبي
يا ارتعاش السنبلِ
في حقول الحلم من ليلى العصبِ

* * *

أين منى مندلى؟ والبائع المصروع من عطر القرائين؟
ذاهلاً مستغرقاً في حلم؟
ضائعاً هيمان مأخوذاً بأفق مبهم
يتشاجى، وجدّه سكرٌ وتلوينٌ
صاعداً من ولهٍ في عالم من عنبر مضطرم
تائهاً من شوقه عبّر بساتين
عطشات النخل، والقرآن في تموزها أمطار تشرين
مندلى يا ظمأى يا جرح سكين
في خدود وشرابين

* * *

وطريقي نحو دكان القرائن الصغيره
فيه أوراها لها عطر عجب

كل من ذاق شذاها تائه ،

منسرق الروح ،

شريد

لا يؤوب

مندلى يا حقل نسرين

ذقت أسرارك واستبعدت كوبي

لم أعد أعرف فجرى من غروبي

وتواجدت وضيئت دروبي

وتشوقت لقرآنٍ ، على رفك غافٍ ،
أشتريه لحبيبي

* * *

وسمعتُ العابرينُ
يصفون المخزن المنشود : تسرى فيه أصداءُ
وتلاوين ، وموسيقى وأضواءُ
تصرع السامع صرعاً باختلاجاتٍ حنينُ
وشموعٍ ودوالي ياسمينُ

أه لو أنى وصلتُ
أه حتى لو تمزقتُ ،
تبعثرتُ ،
اكتويتُ

لو تنوقتُ العطورَ السارباتِ
حول دكان القرائين الصغيره

أه لو أمسكتُ فى كفى قرأناً ،
ككورى حنون القسّماتِ
واحد من ألف قرآن حوالية ضبابُ ،
وشذى وردِ ،

وموسيقى مثيره

ليس يقوى قطُ إنسانٌ بأن يصفى إليها
يسقط الصاحي صريعاً ، غير واعٍ ، ضائعاً في شاطئها
أه لو أني أطبقتُ عليه شفقتي
هو قرآنٌ حبيبي
أه لو لامستُ رياهُ بأطراف يدياً
هو وردى ، وامتلائى ، ونضوبى
والنشيد المحرق المخبوء في قعر دمي ، في مقلتي

* * *

وانتهى السوقُ وفي حلمي يئستُ

وعلى دكة أمالي الطعينات جلستُ
وانتحبتُ
لم يعدُ في السوق من ركن قصيُّ
لم أقلبه... وتاهت مندلى...
غرقت في عمق بحر من ضبابِ سندسىُّ
واختفت في ظل غابات سكونِ أبدىُّ
لم يدع يأسى حتى سحبة القوس على الأوتار لى
ضاع حتى الظلُ منى ، وتبقت لى روى من طللِ

أين أبوابك يا ترتيلتى ،

يا مندلى

يا عطور الهيل والقرآنِ يا وجه نبيُّ
يا شراعاً أبيضاً تحت مساء عنبيُّ

* * *

وإذن ماذا سأهدى لحيبي
في غد حين يسافر ؟
فرغتُ كفى من القرآنِ غاضتُ في صحاراي المعاصِرِ
وخوى خدأي إلا من غلالات شحوبي
وحيبي سيفادرُ
دون قرآنٍ ، هديه...

غضة تلمس خديه كما يلمس عصفور مهاجر
جبهة الأفق برشآت غناء عسليه

وحبيبي سيسافر

خاوي الكف من القرآن ، من عطر البيادر

وحكايات المنائر

وأنا أبقى شجيه.

كظهيرات من الحزن عرايا غيهبيه

ضاع قرآني ، وضاعت مندلي

واختفى وجه حبيبي

خلف غيم مُسدل

وامتدادات سهوبٍ وسهوبٍ

فوداعاً يا قرائيني ، وداعاً مندلي
وإلى أن نتلقى يا حبيبي
وإلى أن نتلقى يا حبيبي

٨ جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ

٢٨ / ٦ / ١٩٧٤ م

مرايا الشمس

أهدى إلى عبد الهادي خريطة لفلسطين

نامى على أهداب عيني يا خريطةها

ورقى فى دمائى

إنى نذرتُ لكى أكسر قيدها زمنى ،

نزيفَ دمي ،

غنائى

أفاقها سأخطها بالورد ،

أغرس عند (بيت المقدس) الدامى قرنفلةً كبيرة

وأحيلها فى عرض بحر من زهور الماء والدفلى جزيرة
وأشك عند حدود (عكا) زنبقه
حرى الغلالة ، مغدقه
و (اللد) أنفحها برفة وردة جوريه
حمراء غذتها دماء شهيدة عربية
و (جنين) أعطىها شقائق غضة شفقيه
ول (غزة) أختار سوسنة نضيره
و (لكفر قاسم) ألف ليلكة أبعثرها وأجدلها ضفيره
وعلى مشارف أرض (بيسان) سألزوع ياسمينه
وبنفسجاتٍ عند (حيفا) عند (يافا)
عند (نابلس) الطعينه

ولدى مدينة (طولكرم) نرجسه
أصحى بها ذكرى أضاحٍ كالمرايا مُشمسه
أهداب عيني يا خريطتها ، هنا ، نامى عليها
إننى ما بين بياراتها التكلى سجينه
أمطرتها ورداً ، وعاشت خلف أسوار انفعالاتي
مدائنها الجميلات الحزينه
حتى زرعت فؤادى الخابى الشموع
على خريطتها مدينه

* * *

لا لا ، دعى الأزهار يا كفى ، خريطتها سأنقطها بدمعى
سأخط بالعبرات كل حدود (ناصرتي)
وبالشهقات أبني (بئر سبعى)
سأحيط أسوار (الجليل) بخضرة ريانة
تنثال من ألمى ورفضى
وسأمنح (اللطرون) عصف رياح أحزاني ، أسيجها بنبضى
والطفلة السمراء (رام الله) أرقدُها على مهدٍ
يرطبُّ حره ثلج الدموع
والحزن حول غطائه الوردى أشرعةً ،

مواويلٌ ،

شموع

وسأزرع القلب الكئيب شجيرة ،
قمرأً يُضوئُ في دجَاهُ كل أرضي
فمن الشمال إلى الجنوب قبرى مغمسةً بدمعى
وورود أحزاني تعشش في مدائنها
تعطر كل زاوية وضلع
وبأدمعى حدتُ أرصفة الشوارع في (الخليل)
ورشفت من حزني جراراً من عبيرٍ
وارتويتُ من العويلُ

* * *

لا لا ، برئتُ من الحدود الدامعه
وجزعتُ أن ترنوإلى خريطتى من هذه المُدن الحزاني

أنى سأشعل فى رباها ثورة ،
غضباً

دخانا

ولدى القرى السود العيون الضارعه
سأقيم من وهج القنابل مهرجانا
ويضوع عطر الموت ، يسكر من تموجه عدانا
لا وردى البض الملون سوف يشفى وخزة الذكرى
ولا عبراتى الحرى الغزار
لا بل أسور بالخناجر والمدى تلك الديار
وأنيما فى غابة مسنونة الأشجار
تجرح بالسكاكين الحداد اللاسعه

بالعنف تنتزع المروج الضائعه
سأطير ، أغرس خنجراً في باب (عكا)
وأقيم حول (القدس) أرصفة الصواعق
أزرع الأسوار شوكا
وأدك (تل أبيب) دكا

سأحيط (غزة) بالقذائف ، سوف أبذر
حول (يافا) حقل ألغام ونار
في الليل أشعله حرائق جُنَّارُ
وسأقرش المدن الوديعة بالصواريخ المحبة والمدافع
الله أكبر يا عرائسُ !
يا قناطرُ !
يا شوارعُ

إنى سأبذر فيك أسلحتى وانتظر الحصادُ
وسأوقظ الربَّواتِ فيكِ على براكينِ التحدى والعنادُ
قسماً وأرفض أن أبللَ أغنياتى بالمدامع

* * *

ووضعتُ بين يديَّ خارطتى ، رأيت ربي مدائنها خواءُ
مخدولة الطرقات ، يذرع صمتها اللاشىءُ ، يسكنها الهواءُ
ليلاتها عدمٌ ، ظهيرتها ذبولُ
يمتصنى ، يقصى خطاى ، ودون بياراتها الظمأى يحولُ
ويحيل خارطتى نُثارةً من طولُ
أحجارها لا نبض فيها ، لا عروق ، ولا دماء

حتى لهيبى يستحيل إلى انطفاءً
وحرثتُ صخرًا ، لم أجد فى الصخر زنبقة انتصارى
وجبينُ فجرى ضاع منى ، والضباب دنا وأسدل ستره
غَطَّى نهارى
ومضغتُ أشواك اندحارى

ساحاتها دونى ملفعة ، يعز إلى مشارفها الوصولُ
كيف الوصول ؟
والليل يفصلنا وتجرفنا السيولُ
تتساقط الأحلام مَيِّتَةً ، وتتكسر الحلولُ
وتخوننى الأيام

تسقط من خلال أصابعى حتى الفصولُ
كيف الوصول...؟
وتحت ظلال عينيه يصير سواد أمسىتى ظهيره

وشعرتُ أني قد بعدتُ ، بعدتُ واحتجب اللقاءُ
يبستُ عناقيد الرجاءُ
وتمدت بيني وبين تلالها مدُنُ البكاءُ
وعرفت سر البعد ، سره التيه ، إني قد نسيتُ
أن أنقش اسم الله فوق صخورها
وحرمتها من ضوئه ، من دفته ،
عذراً لعطر ترابها ، وورودها ، ونهورها
أفرغتها من سر قوتها ، رضيتُ
لربوعها الفقر الحزين ، منحتها الجذب المميتُ
كلا سأرجع للخريطة ،
أنثر القرآن أجنحةً على كل المزارع

حتى أرى اسم الله محفوراً على شجراتها
مستودعاً في قلب تعريشاتها
متألقاً في ذبذبات حنين أغنياتها
حتى أرى اسم الله أنداءً وخضره
وشذىً ووفره
في كل بياراتها

* * *

إني ساكسر قيد خارطتي بأسلحتي جميعاً
وردى ،

ودمعي ،

والسكاكين الحداد ،

ونكر ربي

ستشوق لى ومضاتها درياً سريعاً
حتى أرانى فى فلسطينى :
نجومٌ ملء دربى
وشموعٌ ميلاد ، وصحو ، خلف هُدبى
أمشى أحرراً باسم ربى ، بالسلاحُ
بالورد ، بالدمع المضىء ، مدائنَ الدم والجراحُ
حتى تتاح لنا ، لها ، لشتات أهلها معانقة الصباحُ
وتعود خارطتى الحبيبية ،

ملك قلبى

تحت هدبى

لا يجوبُ سفوحها غيرى أنا ،
غير الأغاني ، والعروبة ، والرياحُ
وأحسُّ خارطتى ترفرفَ كوكباً ، فى لا نهايات المدى النائى
ويُنبتُ لى جناحُ

٤ محرم ١٣٩٤ هـ

٢٧ / ١ / ١٩٧٤ م

*** معرفتي ***
www.books4all.net
منتديات سور الأزيكية

ميلاد نهر البنفسج

مليكى على كلماتى أنبت جناحا
ورشاً على أغنياتى صباحا
وأسرج رياحا
ترقرق فى اللانهايات لحنك أعلى وأعلى
وهبنى ما هو أحلى
سنا ومضة من بريق جبينك
ودعنى أرى كيف تنبت تحت عيونك
مراعٍ جديده
ودفقات عطر جديده
وغابات ظلٍ وحبٍ جديده
ودعنى أرى كيف كيف يتم انبلاج القصيده
وكيف تهل خطاها الوليده

* * *

يُحاول لحنى أن يتدفق بين يديك
مليكى فتخبو بروقى لديك
ويبهرنى وجهك الملكى
ويُصمِتُ شدى انغلاقٌ وعى
ويقلت منى لجام القصيدة
فواصلها تتمطى دوائر
وأوتادها اللولبية تهرب ، تيبس بين يديّ المحابر
وأشطرها تتراكم شاردة فى الشعاب المديده
تضيع القصيده

تطير القوافى بعيداً وتنتثر عبر الدجى شعرها المهملا
وتضحك منى ، تطفر ، ترفض أن تنزلا

مقاطعها تتراقص عبر المدى حلماً مذهلاً
وتقتطف الريح من هديها سنبلاً
وتدفق - دونى - أشطرها جدولاً
وحين ألامسها تتبدد
فراشاتها فى أصابع كفى تخمد ، تخمد
سنايلها تتجمد
وأعجز عن أن أنال القصيده
أحاول أن أتصيد شطرا
وأمسك بحرا
وأرتدُّ نُقلت منى القوافى عرايا ، بديده
وأشعر أن الدجى يتمزق حزناً على
وأن كواكبهُ تتنهّد

وتنهشني حَسْرَاتٌ جديده
وعبر الدُّجى أتحرقُ ، أذوى أسيُّ أتبددُ
وأعجز عن أن ألمَّ ورود القصيده
وأبقى مبعثرةً في الظلام شريده
يشاغلني ضوؤك الملكيُّ ، تزوغ المقطعُ
أهيمُ مضيعةً في شعاب القصيدة ، عبر شوارعُ
وأضرب في سلكٍ ومزارعُ
تفاصيل وجهك مختومة بالضبابُ
وروحى مختومةً بالمدامع
محجبةً في سواد براقع

وقلبي اغترابُ
وبيني وبينك ينسدل الليلُ في ألف سترٍ وبابُ
ويحجبني عنك ألف حجاب

وتبقى القصيدةُ سورَ مدينه
ملثمة بحصونٍ حزينه

وتبقى القصيدةُ أسئلةً وصداها
وليس لها من جوابُ

* * *

وأهمس : الله أكبرُ
ويثمر غصن السكون ، ووجه الدجى يتغير
ويمطر نجمٌ ،

وفى شفتى يتفتقُ بيدرُ
ووجه القصيدة يقبل مشتعلاً ، يتكسرُ
شعاعاً ، شعاعاً ، يرطبُ روى
ويلثم كلَّ جروحي
ويفرسنى وردةً فوق مجذبةٍ من سفوحى

* * *

إذن هكذا ؟ حين أ همس باسمك
يُفتح كنز المعاني الوليده
وتنمو على شفقتي القصيده
خطاها الوئيده
حفيف رياح بعيده
مليكي ، وأنت القصيدة
وأنت جمال القصيده
ومن ضوء وجهك يطلع فجر القوافي العنيده
كلؤلؤة في الظلام فريده

* * *

وتولد عندي القصيده
كمولد فينوس من زبدِ البحر طافية مثل ورده
جدائلها أشطرُ عائماتُ
وأهدابها من حروف ومن كلماتُ
يوسدها الليلُ أهدابهُ ، وهواهُ ، وسُهدَهُ
ويمنحها زبدُ البحر خدهُ
يرقرق في وزنها شفقاُ وتلوجاً وزُبدهُ
ويطعم أبياتها من بريق اللآلى
يصوغ اليواقيت قافيتينُ
يبعثر قوسَ سحابٍ ، يقيم دوالىُ
ويسكب برد الليالى

وزرقة أمواجه في مدى مقطعين
ويبعث أنشودتي عذبة الحبر بحرية الشفتين
مضمخة بشذى البرتقال

* * *

وتولد عندي القصيده
أراجيح رؤياً ، ودنياً جديده
يُقَطَّرُها الله ينثر أشطرها العسلية

وَيُغْدِقُهَا نَجْمَةٌ تَتَوَهَّجُ
وَنَهْرٌ بِنَفْسِجٍ
وَتَعْرِيشَةٌ مِنْ مَشَاعِرِ زُرُقٍ خَفِيَّةٍ
وَتَبْزُغٌ فِي الضُّوءِ أَغْلَى هَدِيَّةٍ
وَأَحْلَى ،
أَرْقُ ،
أَحَبُّ صَبِيَّةٍ !

فن: ١١ صفر ١٣٩٤ هـ

٥ / ٢ / ١٩٧٤ م

سنابل النار

ذات شتاء أثمرت النار ، فاشتعل الحبُّ
ثلاث دوائر ، واصفرت معه النار ، ثم أحمرت
ثم صارت بيضاء تحرق عيني من يحدق فيها.

أرقصي في الموقد الشتوي يا نارُ
فهدبُ الليل يثمر أدمعاً ، والبرد بتارُ
على روحى تهبّ عواصفُ رعناء

وفى قلبى ينام شتاءُ
وفوق غصون أهدابى السَّهَّارَى تسقط الأمطارُ
ويلطم فكرتى الإعصارُ
وتطرق باب ذاكرتى ، عيونُ ،
أوجهُ ،

أخبارُ

من الماضى وتصرعنى هموم رطوبة ثلجية الأستارُ

تقلِّبنى جبال خواطر وبحارُ
تدبُّ النار مُشْعَلَةً ثلوجَ دمي

يلامس دفؤها نغمى
يريق لهيبها صيفاً على عودى ، ويُصحي غفوة الأوتارُ
ويحملنى جناح النارُ
لكل دوائر الحبِّ
ثلاثتها ، وينبُت لى على قلبى
جناحين ، من الحلم ، من التذكارُ
ولولا النار ما كانت ثمار الحبِّ لولا النارُ
عرفت توهج الأهواء حول لهيبها ، فعواطفى أغوارُ
تضيعنى مسالكها الخرافيةُ
وتحملنى إلى دنيا مضيئة ، ضبابية
لها أعمدة ، أقبية ، أسوارُ

من النيران تبدأ رحلتى
تنشق لى طرقُ
وتخطف روى الأسفارُ
ففى أغصانى النشوى يكاد يسيلُ نسعُ النارُ
وورد الحبّ والأشعار
هو الأثمارُ
وكل هوى أحس به
له يا ليلُ دائرةٌ ،
ولون فى لهيب النارُ
وتعكس لى حقيقتهُ مرايا النارُ

* * *

هواى الأول الحسىُّ ، دائرتى الصغيره
حبّ إنسان من الناس
هواه كوكبٌ فى مقلتى ، فى شعرى طوقٌ من الآسُ
وبسمته حقول شذى ، وترنيمه أجراسُ
يحلينى ، يزخر فى ، يتوجنى
على مملكة الوهم
وفى أروقة الحلم... أميره
يصغرنى ، يحولنى
إلى شفةٍ ملونة ، إلى تنورةٍ وإلى ظفيره

حبه صيف من الورد يغنى فى دمائى
وجهه عصفورة تائهة عبر سمائى

واسمه سنبلَةٌ في شفتيَا
رِيشَتِي فتحت قلبي شبابيك ضياءِ
وأحالت عُمري بستانَ برسيمِ ثريا
صيرتُ أغنيتي زهرة ماءِ
قذفتُ كلَّ نجومِ الليلِ في قعرِ إنائي

جسّمتُ ألسنة النيرانِ لي شخصِ حبيبي
أطلعتُ لي وجههُ من شفقِ الذكرى
سماءً في غلالاتِ غروبِ
وجههُ أم زهرة حمراءُ؟ أم وهجِ ضياءِ؟
وفؤادي أم جناحاً طائرِ يسبح في ريحِ الجنوبِ؟

وجهة أم وردة النار وعنقود شرر
وتراتيل الهوى الأرضى فى روى أم مدُّ صورُ ؟
وبحار فى دمي أم أشرعه؟
أم مواويل وتيارات شوق مترعه ؟
وصبايات وأهواء أخرُ ؟
وادكارات لقاءٍ فى جفونى ؟ أم تهاويل سَهْرُ ؟
وشظايا لهب أم مزرعه ؟
أم فم يبسمُ أم عطر مَطْرُ ؟
أم مشاوير فصول أربعة ؟

تلعب الأهواء بي يا نار ، إنى وردة فى المرج صفراءُ
تؤججها أعاصيرُ وأنواءُ

وتقذفها على صخر يمزقها

ويحرقها

ويمنحها شعوراً أنها تمرح في ظلّ وفي ماءً

وتسقى العطر في حمام أشداء

تغيّر موقد النار

مع الإحساس في قلبي ، تبدل موقد النار

أصابته ناره صفره

بلون الشك والأهواء والغيره

بلون تعطشي وجموح أفكارى

وما في الحب من شوقٍ ، ومن صمتٍ ، ومن حيره

مؤرجحة كأني قشّة في حُضنِ إعصارِ
مضيعة بويان الهوى الخطره
وأبس معطف النارِ
وأغنيتي تضيع طريقها في الليلُ
يرنحها الهوى والسيلُ
وقد تسقط في لجة أفكارِ
وقد تأسرها نظره

ومثلُ الحبِّ ، هذى النار ، ألسنة مراوغة فلا تلمسُ
غمائمٌ من لهيب سائلٍ ، زورقُ شوقٍ أصفر الصارى

ونهر تائر الأمواج مجنون فلا يُحبسُ
وزوبعةٌ تضجُ وحرٌّ منشارٍ
فيا نارى ، يا نارى
غرامى الجامح الأرضى يشبه وجهك الأصفر
فلمسٌ كليهما دفءٌ
وطعمٌ كليهما سكرٌ
وقبلاتهما تجرح كالخنجر

- ٢ -

ويا نارى فى لجة هذا الموقد الأصفر يا نارى اصهرينى
طهرينى وارفعينى

إننى أنفقتُ فى حبى الترابى سنينى

فإلى الدائرة الثانية الوسطى انقلينى

وابعثينى

فى الدجى قبرةً لاثغةً تهفو لبيارات يافا وجنينِ

إن حبَّ الأرض أظهرُ

من هوى مرغٍ إحساسى فى الطين وعفرُ

فى ثرى الأهواء والحمى جبينى

إن حب الأرض غابات ، وقرميدٌ ، وقمح ،

حبها شرفة مرمرُ

حبها يغسل شكى فى بحيرات يقينِ

حبها يزرعنى زورق شذرٍ سابحاً فى نهر كوثرُ

إن حبّ الأرض تشكيلة موسيقى ولين
نهر إيقاع ، وأجراس حنين
وأنا في مرجها عصفور بيدر
حفنة من رملها نجمة فجر ،
حُلم ،
سلة عنبر

فصداها يتكسر

في صلاتي ، في غنائتي ، في سكوني
في ابتهالات حنيني

ورؤاها تتدثر

بين أهداب عيوني

ذكريات ، ومواويل ، وتاريخاً برود الظل أخضر

أَتَذَكُرُ

أَتَذَكُرُ

كُلُّ أَمْجَادِ الْقُرُونِ

كُلُّ زَيْتُونِي ، وَبِيَارَاتِ أَحْبَابِي ، وَطِينِي

كُلُّ حَقْلٍ فِي ثَرَاهَا

مَرَّةً أُعْطِيَ وَجُوهًا وَمَوَاعِيدَ وَأَثْمَرَ

كُلُّ عَطْرِ وَنَسِيمِ غَمْرِ الْمَرْجِ وَأَسْكَرُ

كُلُّ نَجْمٍ مِنْ أَعَالِي أَفْقِهِ النَّائِي تَحْدَرُ

يَحْضُرُ الْعِيدَ وَيَسْنَهُ

أنا في حب فلسطيني أعيش العمر عمري
وأصبح في مدارين
وترقص لي عرائس ماء بحرين

هواي لها يغير جواهر النار
تبدل موقد النار
وصار اللهب الأصفر جماً قاني الحمرة
له حجم ، له شكل ، وخلف أجيجه فكره
إذا ما شئت ألمسه بكفيا
أوزعه هنا وهنا وأنته
ألممه ، أبعثه

هنا جَمْرَةٌ

هنا جمره

هنا جمره

وتشربُ دَفْنَهُ أَهْدَابُ عَيْنِيَا

وَأَخْذُهُ ارْتَوَاءٌ دَمِي الْمَشُوقِ ، وَدَفَاءُ أَشْعَارِي

وَشَمْعِي وَتَسَابِيحِي وَمَشْوَارِي

وَحَمْرَةَ ذَلِكَ الْجَمْرِ

دَمٌ يَجْرِي

بِلَوْنِ الْغَضَبِ النَّازِفِ مِنْ جِرْحِ فِلَسْطِينِ

وَحَمْرَةَ ذَلِكَ الْجَمْرِ

وَرُودُ قَانِيَاتٍ مِنْ حَدَائِقِ دِيرِ يَاسِينِ

مغمّسة الشذى فى جرح مطعون
وحمرة ذلك الجمر
كمثل سهولنا الدامية الخصر
ومثل حقولنا المحلولة الشعر
يروّيها دم الشهداء فى رحلة إصرار
إلى أودية الثار
إلى أودية الثار
إلى مستقبل يُفتح للدار
شبابيكاً تطلّ على امتداد مروج أقمار
ويقضم عوسج العار

ويا ناراً اهدمينى
ثم صوغينى كياناً ثانياً ، وابنى جبينى
واملاى من ألق الضوء شفاهى وعيونى
طهرينى واغسلينى
واحملينى عبر أماد الدياتجير احملينى
وإلى دائرتى الثالثة العليا انقلينى
إننى أصعد بالنار إلى ذروة أفاق حنينى
إننى أنبذ شكى وفتونى
وإلى الشمس ، إلى أعلى الذرى ،
يمتد جذعى وغصونى
حيث ألقى فى المدى وجه مليكى

كبياض الثلج ،

كالأنجم ،

كالفلّ ألقىه مليكى

فى طريقى ينثر الحبّ ثريّاتُ ،

شواطىء لا نهايات ، ويرمى لى شموسا

ومجرّاتٍ من الضوءِ ،

نُهوراً عذبة الدفءِ ، تُصَفِّى وتُنَقِّى

وسماواتٍ بلا عدّ

وأودية من الألوان والورد ،

أفسحُ فى جنائنها وأُسقى

ثم أُسقى

من رحيق الأنجم الصيفية الطعم كؤوساً وكؤوساً

حبه، حب مليكى ، رحلة فى اللانهاية
وجهه يستغرق الكون ، ومن أفاقه تبدأ لى كل بدايه
حبه إغماءة ، قمرية تلثغ ، رايه
حبه لى قمر ، ليلكة خضلى ، سماء
ومقاصيرُ وأعنابُ ، وأوتار ، وماء
حبه خضرة مرجٍ سافرتُ عبر سماواتٍ وأكوان
حواشى الأفق من روعتها لوحة فنان
وصوتٌ حفيفها عطرٌ وقرآن
ومن فتنتها أسبحُ فى أعراس ألوان

وَحَبٌّ مَلِيكِيَّ الْمَحْبُوبِ غَيْرِ جَوْهَرِ النَّارِ
تَبَدَّلَ مَوْقِدِيَّ وَامْتَلَأَتْ شَعْلَتُهُ مِنْ عَطْرِ أَزْهَارِ
وَذَابَتْ فِي نِقَاوَتِهِ مِنَ الْمَجْهُولِ أَسْرَارُ
وَصَارَتْ نَارُهُ بِيضَاءً كَالْبَرْقِ
وَيَا وَيْلَ الَّذِي يُلْقَى
عَلَيْهَا نَظْرَةً : يَعْشَى
تَعُودُ جَفُونُهُ حَرْقًا وَسُحْبَ دَخَانِ
بِيَاضِ بَاهِرِ الْأَمْوَاجِ لَيْسَ تُطِيقُ وَهَجَ صِبَاخِهِ عَيْنَانُ
وَبَرْقِ يَصْعَقُ الْإِنْسَانُ
وَضَوْءِ يَسْتَبِيحُ الْعَيْنَ ، يُلْهَبُهَا وَلَا يُبْقَى
لَهَا بَصْرًا وَيَسْقَى الرُّوحَ مَا يَسْقَى
شِعَاعِ النَّارِ مَدُّ سَاطِعِ الْأَلْوَانِ

غفا في لجه أبدٌ ، ونام زمانُ
أصابه مضت تلمسني
تسقط عن ظهري ثقل سلاسل الرقِّ

بياض النار يبهرني

ويأسرني

فأخرج من كياني ينطوي زمني

وأصعد دونما قيد يقيدني

وأرقى في الأعالى دونما بدنٍ

هنا وطني

هنا وطني

هوى ملكي يللم كل أشتاتي ويجمعني
ويرفعني

إلى أحمى

إلى أغلى

إلى أعلى وراء مدى لهيب النار

أغيب أغيب لا أبصر حتى النار

ولا أتذكر الأشعار

أخوض في بريق نهار

ويهبط حول وعيي ، حول إحساسى بياض ستار

وأفقد عالمى ، نفسى ، شعورى

عبر غابات من الأقمار

وتخبو ، لا أراها
تنطوي ، تنوى ، تغيب النارُ

١٧ محرم ١٣٩٤هـ

٩ / ٢ / ١٩٧٤م

السَّمَاءُ عَلَى غَايَةِ الرَّصِيرِ

الْحَبِّ وَالْعَذَابِ أَقْبَلَا
تَبَسُّمًا فِي وَلِهِ عَذْبٍ وَذَايَا خَجَلًا
يَدًا بِيَدُ
خَدًّا لَخَدُ

الْحَبِّ وَالْعَذَابِ فِي فَنَاءِ قَلْبِي نَزَلًا
طِفْلِينَ قَادِمِينَ مِنْ مَجَاهِلِ الْأَبَدِ
يُوزَعَانِ فِي الصَّبَاحِ أَدْمَعًا وَقُبْلَا
وَهَدَبِ مَقْلَتَيْهِمَا أَمْسُ وَغَدُ
وَعَطْرِ مَوْجَةٍ وَمَدُّ

* * *

الحب قال لي : صباح الخيرُ

فقلت للحبّ : صباحي أغنياتُ ،

ضففتا نهر ،

سماء ،

طيرُ

وقال لي العذاب محزوناً : مساء الخير

فقلت للعذاب : قلبي قُبَّراتُ رحلتُ

وأغنياتُ هطلتُ

وغابة يسكنها الطُحْبُ والصبيُّرُ

والحب والعذابُ قال لى : خذينا نحن توأمان

جرحان ضائعانُ

أو وترًا كمان

فَضَمَدِينَا بِالْأَغَانِي ، دَثَرِينَا بِالْقُبُلُ

وَأَسْكَنِينَا الْأَبَدَ الضَّائِعِ فِي صِمْتِ الْمُقَلِّ

والحبَّ والعذابُ قال لى :

أَحْبَبِينَا فَنَحْنُ نَحْنُ عَصْفُورَانُ

من غابة الضياء والأحزانُ

نحن شراعا مركب مضيّع ، ونحن ميلاد حياةٍ وطللُ

الأمَلِ الطرىُّ في أكفنا أكفان

والحزن تفاح وجرتنا عسلُ

والشعر في شفاها نهران
عنوبة الملاك فينا ، ولنا شراسة الشيطان
ونحن قبر وصباح ، مرثيات وغزل
ووجهنا تموز تارة ،
وتارة نيسان

* * *

الحبّ والعذاب سجّانان
سجنهما حولي جنتان
سلاسل أساور وطوق ورد أحمر
وباب سجنى شرفة مطة على دنى وأعصر

والحبّ والعذاب رياءً مطر
سُكْرانٌ من عطرهما المكان
والحبّ والعذاب ترتيلٌ ، وموج أبحرٍ
وظلّ سنديانُ
وبسمة في أعين حزينّة ، وأيتا قرآنُ
والحبّ والعذاب شُبَاكَانُ
وخضرتا بستانُ

* * *

الحبّ والعذاب أمواج وزورقانِ

في نهرِ ناءٍ بلا شطآنِ

هما تواريخي ، وميلادي ، وعمري الثاني

وعطر أيامي ومهرجاني

وجهاهما الحلوان رحلاني

إلى بلاد الشعر والأغاني

* * *

والحبّ والعذاب شتتاني
في عُرف الرياح أسكناني
وفي دروب الجرح والدموع ضيّعاني
للحزنِ أسلماني
لأغنياتٍ رطبة عارية الجدرانِ
يسكن في أحرفها الشتاءُ
وتصخب الرياح والأهواء

الحبّ والعذاب دفترانِ

أرسم في صمتهما أحزاني
والحبَّ والعذابُ
زئرانة ليس لها من بابُ
وصفحتا كتابُ
ممحوتانِ
والحبَّ والعذابِ دمعتانِ
ووردتانِ

* * *

الحبّ والعذاب قد باعاني
وعودي اشتراني
قطرني قصيدة افتتان
صيرني هنيهة في عمُرِ الأغاني
وكوكباً مجرّحاً أرساني
أشعلني ترتيلةً ، وجرح شمعدانِ

* * *

يا وجهه ،

يا رحلتى ،

يا عثمة الطريق

يا نجمة فوق جبيني يا شرع جفنى الغريق

يا شفق الجرح ، ويا ضباة البريق

ملاكى الحارس ؟ أم شيطانى ؟

يا وجه النائى عدو أنت أم صديق ؟

تورق فى كيانى

موتاً ، ونهراً مُشمس الرحيقُ
يا غَسَقِي ، يا نكهة الرمانِ
يا جُرْحِي الوريقِ
تسلمُ يا صومعة الأغاني

في ٨ صفر ١٣٩٤هـ

١٩٧٤ / ٣ / ٢

تممات في ساحة الإعدام

تحت قرار الإعدام في الساحة اجتمعنا
اثنين عيناها بركتا أنجم ودوال
وشمس حزن تشرب من جرح برتقال
تسال ماذا نحن أضعنا

بالموت ، والحب ، والعيون الفرقي الأسيره

نحن ارتفعنا

نحن مع البرق قد نصعنا

ومن حليب الفداء والشمس قد رضعنا

نحن حرثنا ، نحن زرعنا

سنابل الموت ، واتخذنا الأسى خميره

لخبزنا ، والسهاد فى دمنا جزيره

وفى مزاد الرياح بعنا

خضرة أعمارنا ، اشترينا ركام أحزاننا الصغيرة
ونحن ضُعْنَا
ذات ظهيره
وردة موتٍ ، في عطرها نحن قد رتَعْنَا
ونحن كنا براعم النار فاندلعْنَا

* * *

كنتَ الفدائِيَّ أنتَ ، الفدائية القانته
أنا ، وكنا مبتسمينِ
يجمعنا الحبُّ والموت والحلم ، نحن كنا
منتصرينِ

عيوننا الصامته
صيرها الحبل حول أعناقنا لافته
تعيد تاريخ كل طفل ،
أطعمه القاتلون للموت ، ذات صيف
تكشف أخبار كل مقتولة ، وجدائلها نابته
فى الدم والوحل ، مقلتها صلاة خوف
وحول كتفى
ذراعك الحانيه
وفوق أحزاننا ومنانا قفل وبسمة
ونجمة قانيه
وملء أهدابنا طقوس لدمعة ، لاحتضار كلمة

* * *

نمرع فى جبهة المشنقه
طفلىن يشتعلان خصباً فى جذب زوبعة مُحرقه
ونرتقى سلم المشنقه
وفوق ذروتها تنحنى يا حبيبى
تزرع فى شفتى موقفاً ، فكرةً ، وشُعله
والموتُ قبله
تمنحنا ثلجها المدمى تلُّ أبيض
واذ تبسمتَ يا حبيبى
تفتحت وردة المشنقه
تموجت ، أورقت فى السنا مثل زنبقه

وأرسلت حولنا شعرها في جدائل سودٍ
صَبَّتْ علينا صيف الأغانى وذوَقْتنا
نكهة موتٍ مختبىءٍ في نهار عيدٍ
وأرجحتنا، وأرجحتنا
وتحت وجه الردى مع الصيف وحدثنا
وصيرتُنا
حلماً له هيكل ، له شاطيء ، ومعنى

* * *

تشنقنا أغنيه
ونقطف الشمع والأمانى من شجر المرثيه
يصلبنا الليلُ والْمَتَاهُ
ينتزع الهدبَ والشَّفَاهُ
يسمر الحلم عبر أحداقنا أوديه
ممتدة فى أغوار تسبيحةٍ وصلاهُ
نعرف فى الضوء كيف تنتصر الكبرياء على المشنقه
وكيف يَضْحَى المقتول سوسنةً وحياه
وكيف يُعْطَى الخلودُ ،
صمتُ العناد فى الشفة المُطْبَقَه

* * *

السفر في المرايا الدامية

في ٢٦ حزيران ١٩٧٤ تحررت

مدينة القنيطرة من الاحتلال

الصهيوني...

قال القمرُ

حبيبتى قد رجعت من السفرُ

حبيبتى القنيطره

صفحة مرآة دم مكسره

فِي قَعْرِهَا رَسُولٌ قَتَلَى عَرَبٍ مَبْعُوثَهُ
فِي عَمْقِهَا تَدْمَى وَتَقَطُرُ الصُّورُ

قال القمر

حبيبتى قد وصلت عائدةً من السفرُ
أرخيتُ فوق كتفها جدائلي فأجفلتُ
فرشتُ ضوئى تحت مسرى خطوها فأجفلتُ
لثمتُ مجرى دمها فأجفلتُ
تَغَيَّرْتُ ألوانُ عينيها ومن ملح الرياح اكتحلتُ

حبيبتى قد قُتِلتُ

قد قُتِلتُ

مطعونة تحت مساقط النظر

ومن سماء مقلتيها يتناثر المَطَرُ
وفي الصخور ، والدوالى ، والتعاريش دماءً ،
وجنائزُ أُخْرُ

حببتي القنيطره
راجعة من السَّفَرُ
إيقاع تذكاراتها : حرائقُ ، دمٌ ، حُفْرُ
أرجوحة للموت والريح ووجه مجزره
وفي موانى مقلتيها سُنْفُنُ غارِبَةٌ مُحْتَضِرَةٌ
حببتي ترفض أن أَلْتَمِها ، أطلبُ من غَمَازتِها المغفره

* * *

قال القمر

حبيبتى بعد سنين غربة قد رجعتُ من السفرُ
عائدة من رحلة فى قعر آلاف المرايا الماحية
راجعة من المتاهاتِ ومن أرض الرياح العاويه
حيث تقاطع الخطوط الداميه
وحيث يمحى كيان المنحنى ، يضيع وجه الزاوية
ممحوة حبيبتى خطوطها
ضائعة خلف الفراغ والضباب والدجى شطوطها
معكوسة صورتها على العيون المجذبات الخاويه

وهمية حتى ورود شعرها ،

وهمية أمشاطها ،

وهمية قروطها

أكذوبة المرأة فى مقلتها الولهى وعقم الهاويه

مصلوبة حبيبتى على جنوع السنوات العاربه

* * *

قال القمر

ووجهه الحزين رعشة وظلُّ فى نَهْرٍ

مسيبة حبيبتى ، مخنوقة ، مهدمه

خدودها شاحبة يجرحها حتى مرور الكلمه

أذرعها حقائب خاوية ، راح بما فيها اللصوص القتله

لم يبق من فضتها ، لؤلؤها إلا جلود رثة مهلهله
سيورها مثمه

أقفالها تدمى ، تصيحُ الريحُ فيها ،
يغرسُ الخرابُ فيها أنملة

حببتي أكتافها مهشمه

أسوارها مقتحمة

ويقطن الذبول فيها تسكن الأشباحُ
والموت والرياحُ

قبابها كواكب مرتحله

بيوتها فم الجراح المشعله

أشجارها منزوعة الورقُ

فارغة الحدقُ

من دمعها ، من دمها ، أهدابها مكحلّه
تُسبَل من فاكهة الدماء والحمى غُصوناً مقله
ولم تذق حبيبتى منذ سنينٍ وشوشاتِ سنبله
كلاً ولم تلثم دواليها سوى أنياب صاروخٍ وعض قنبله

* * *

مرمىة حبيبتى القنيطره

على مسامير سرير خربٍ مشتعل الغطاءُ
مروجها مقابر الغناءُ
صيرها حقد اليهود غابةً من مزقٍ ، حرائق ، أشلاء

لكنما جراحها معطره
يطلع منها قمرٌ مقاتلٌ ،
تخفق فيها رايةٌ منتصره

* * *

حببتي القنيطره
عاجزةٌ أدوية الطيب عن شفاؤها
اسقوا صداها جرعة من بردى ، رشوا على شتائها
صيف الجراح المقمره
فطعنة الخراب فى رخام صدرها
تشقى بأن تنام فوق خدّها وشعرها
سماء سورياً ، وتحنو الشجره
والقبره

على شطوط جفنها المحموم ، إن المقبره
ستستحيل نجمة مؤتلقه
وموجة مرقرقه
تعطى أباريق الأغاني للشفاه المطبقه
وتمسح الدموع عن سوسنةٍ في الأعين المغرورقة
توسدُ المدينة الطافية المروجِ في بحر الدماء المحرقة
تهدى إليها قبلة وزنبقه

* * *

قُنَيْطَرَه
قُنَيْطَرَه
سلمتِ يا حبيبة الجولانُ
وعشتِ يا غدائر النجوم ، يا مراتع القطعان

يا نهر كهرمان
يا صلواتِ المغفره
يا خَرَزَّتِيْ مَسْبَحَةٍ مَّقْطُوعَةٍ
يا أَيَّةُ مَبْتُورَةٍ فِي شَفْتِيْ مَرْتَلِ الْقُرْآنِ

شحوب خديك ستسقيه الشفاء الخيره
ومن جديد في الربى ستشمخ الجدران
ويصعدُ الأذانُ

* * *

قنيطره !

قنيطيره !

لتنبت الأنيابُ في فكِّكِ وتطلعُ قرونُ فظة مؤثره
وهيئى مخالباً ومقبرة
تصطادُ إسرائيلُ . إن الغد نُسعُ صاعد في شجره

صور وتهويمات

أمام أضواء المرور

اشتعل الضوء الأحمر

والحلم تكسر

وتبعثر

يا حمرة ، يا حسرة وردة سيف جورية

راعشة تحت أعاصير ثلوج قطبية

يا لهباً منبعثاً من خلجان

محترقات خلف الذكرى في دوامة ألوان

في دنياً منسيه

غسلتُ بالأدمع أغنيتينُ

قطعت وترينُ

حمرة ! يا عدماً مختبئاً في زوبعة تموزيه
أسلمتِ الورد لعصف الريح الشرقيه
وأباحت أشرعة النهرينُ
وامتصتْ ياقوتَ الشفتينُ

يا نقطة وقف في خاتمة الكلمات النيسانيه

تقطع ما نتمنى أن نسمع ما بعده
لا تعطينا العطر ولكن تفجعنا بحطام الورد

تنزعها منّا من حرقتنا الروحيه
تنفيها من غابات الذكرى المریده
تنهار وتحترق الورده
يا حمرة يا لهباً شراً حرق حنجره القمریه
أشعل شفة المنشد في الفجر
وقص جناح الأغنيه

يا شفة تصرخ : لا
سمرت العابر فوق التل وكسرت الأملأ
قطعاً ، قطعاً ، يا رشة نهى دمويه

يا قاتلة الزهرة ، يا عوسجة الطرقات البرية
يا صيفاً قد رحلاً
يسحب أشلاء صباهُ تحت أعاصير تشرينيه
يا عقلاً مبجوح الفكرة يؤوى شللاً
خرّب موجاتٍ وحقولاً أسطوريه
غيب « إلدورادو » وربها الذهبية
عن عيني وطواها في أرض سرية
أسكنها زحلاً
يا فرحة من يقدر أن يصلأ

* * *

اشتعل الضوء الأصفر
الخيط الناحل بين الفجر وظلمة ليلٍ أدبر
زقزقة العصفور الأولى
فوق البرسيم الناعم يحلم ، ينشر عطراً مجهولاً
فوق النسمة الراقصة الخصلات الرطبة محمولاً
يجتاح جبلاً وسهولاً

ويحبّ الله ويسهر
ويوزع سُكراً للعشّاق وشوقاً عذباً وذهولاً
وعلى عُشش الشعراء يرش العنبر
ويريق دوارق من عسلٍ يسقيها بيداً وحقولا

اشتعل الضوء الأصفر
في لون سنابل شقراءٍ نضجت في حُضن البيدر
يا صمتاً بين حبيبين

يا أشواقاً ساكتةً تسكن في أحداق العينين

يا صفرةً يا لون المرمز

المرج الضاحكُ من نشوته قد كَبُرُ

وجبين الغيمة قد أمطر

يا مفرق دربينُ

يا ودياناً تسكب شفقاً مشتعلًا ما بين سماءينُ

يا تمهيداً لتحقق حُلم من فضه

يا حُلم حدائق خضراءِ

في خاطر نبع مياهِ ولهي مرفضه

يا ورداً أصفرَ في غابة حزن وضبابُ

يا سوسنة حالمة قد نامت في صفحاتِ كتابُ

يا لحظة صمتٍ في غنوه

يا فاصل تجريح وعتابُ
ما بين حبيبين اختصما أحقاباً تتلوها أحقابُ

يا بشرى بخروج المجروح من الهوه
يا قمراً يدخل من كوه
في زنزانة جندي ضائعة الأبواب
يا رائحة المطر الحلوه
يسقط فوق غبارٍ وترابٍ
يا منبت أورادٍ شُقرٍ وشذَى أعناب

اشتعل الضوء الأصفر

معبّرنا المرموقُ ووادينا الأشقر
بين الصمت وبين النغمة
ما بين النظرة والكلمة
فاصل أسرارٍ وتجلُّ بين الضوء وبين العتمة
في ليلٍ محبٌ ضيِّعٌ مسلكه في غابةٍ بسُّمه
يا غصناً مبتوراً أثمر
يا دهليزاً « ليثياً » أخصب في الظلماء وأقمر
يا وله العاشق يحلم في الظلمه
ويحسّ الليل المنسدل الأستار سواقى كوثر
وعماد مدائنٍ مرمر

يا ضوئى الأصفر ، يا تقبيلَ النسمة
لخود الساهر ، يا زنبقة الرحمه
يا طوق نجومٍ ، يا تعريشة عنبرُ
يا مغرب ليلتنا ، يا آخر نجمه

* * *

واشتعل الضوء الأخضر
وأشار الحلمُ إلينا ينقلنا لبلاد السكر
يا ضوئى الأخضر ، يا نجواى ، ويا سهرى
يا وجه مليكى فى الأبعادُ
تقطع من شغفٍ بسنا عينيه أوتار الأعواد

يختلط الموتُ مع الميلادُ
يتكسرُ من فرح اللقيا وجهُ القمرِ
مِيدِي يا ظلمةُ واندثرى
تتألق آلاف الجُزُرِ
تتراقص شيطانُ ووهادُ
تتهاوى الأزمنةُ المبهورةُ منتشراتٍ في أعيادُ
أعيادُ ، أعيادُ ، أعيادُ
يا وجه حبيبي في الأبعادُ

يا ضوئي الأخضر ، يا مرجاً سكراناً
من الألق المسكوبُ

يا قطرة أشواقٍ حرّى في قعر الكوبُ
لونُ الماضي سيجهُ التذكارُ
أفاقٌ ولهى خضيلاتُ ، أشواقٍ تحلُمُ ، أقمارُ
ومهاد سنابل شقراءٍ في حُضن سُهوبُ
والبسمة تنبتُ والهة فوق الوجه المحبوبُ
وقصائد حبٍ ننظّمها ، ونهور حليبٍ وبهارُ
وأغانٍ سوف نغنيها ، وترنحُ أشرعةً ، وغروبُ

وتوابلُ ،

عطرُ ،

أسرارُ

وَعَدُّ عَرَبِيٍّ تَغْرِفٍ مِنْهُ الْأَشْعَارُ
مَنْبَثِقٍ مِنْ بِيَّارَاتِ الْوَطَنِ الْمَسْلُوبِ
يَا حَيْتُ ذِكْرَاهُ ، حَيْثُهَا الْأَمْطَارُ

وجه حبيبي

يَطْلَعُ عَذْباً مِنْ شُرْفِ التَّذْكَارِ الْغَضَّةِ
مِنْ سَاحِلِ جُزْرِ مَسْبُوكَاتِ مِنْ فَضِّهِ

واسم حبيبي

تَسْكُنُ أَحْرَفَهُ أَمْطَارُ
تَتْلُوهُ بِيْدُ وَبِحَارُ

يا ضوئى الأخضر !
يا طعم صباحٍ فى مكة خضلانٍ مُعطرٌ

يا ذكر الله ترتله فى الليل الأوتارُ
وتغنيه الريحُ المبهورة والنارُ
من ذاق عنوبته يسكرهُ

يسهرُ

يسهرُ

* * *

يا ضوئى الأخضرِ يا لهبُ
يا شارعِ ذاكرتى فى ساحتهِ المزهوةِ ينتصبُ
تمثالُ لاسمِ حبيبي
يتسلقُ أحرفهُ اللبابُ
ويموجُ على تعريشتهِ عطرُ وضبَابُ
ويخالطهُ ذهبُ
ينبتقُ الوردُ الأحمر من أحرفهِ لونِ غروبِ
يعطيه سكرهُ القصبُ

تترققُ في اسم حبيبي نسماتُ وترطبهُ سحبُ

وورودِ نقاءٍ وشحوبِ

ترقصُ تنفضُ أسرار طراوتها ملء اسم حبيبي

يا ضوئي الأخضر يا عنبُ

قطرُ مطرا

جمعُ زهرا

لملم صورا

لحروف اسم حبيبي

واقطف من شاطئه كرزاً ، واحصد ذكرا

ما بين الأحمر والأصفر والأخضر
تضحكُ يا قلبي ، تبكي ، تتذكرُ

وتسيرُ تسيرُ إلى أين

المسعى والظلمةُ ممدوده

والأرض المنشوده

ومروج الفستق والعنبر

ونهور الكوثر

خلف ضباب البحر بعيده

وغدى طرقاتُ مسدوده

وديانى خاويةُ ، تصفرُ فيها الريحُ

ويتمتم سرُّ مجروحُ
وجبالى خنجر
ومروجى أشعارُ تبكى فى صمت الدفتر
وفؤادى تصرعه أوتارُ ، تحفر فيه مفاتيح

* * *

يا دفئى ، يا مطرى المسحورُ
يا تعريشاتٍ من بلور
يا وجه حبيبي
يا وجه حبيبي

١٨ من ذى الحجة ١٣٩٢ هـ

١١ / ١ / ١٩٧٤ م

هوامش وتحقيقات

ص ٢٥ - حول وزن (مستفعلاتن مستفعلاتن)

تقتضى الأمانة العلمية أن أقول إننا كنا نغنى في طفولتنا نشيداً من نظم الرصافي أوله :

سمعتُ شعراً للعندليبِ

تلاه فوق الفصن الرطيبِ

إذ قال نفسى نفسى الرفيعه

لم تهو إلا حُسنَ الطبعه

وفيما بعد قام على صفحات المجلات العراقية جدال حول وزن هذه الأشطر لأنها - كما

قالوا - تخرج على تفعيلات (مخلع البسيط) وقد اقترح بعضهم تقطيعها على (مستفعلاتن

مستفعلاتن) وأذكر أنني ناقشت هذا الاقتراح بين تلاميذى في جامعة البصرة وأخبرتهم أن

«مستفعلاتن» المصابة بعلّة زيادة لا ترد لدى الخليل في حشو البيت مطلقاً فذلك التقطيع غلط

مخالف لنهج العروضيين. ويوسفنى أننى لا أتذكر أسماء الأديباء الذين ساهموا في تلك المناقشة

العلمية الممتعة.

وبعد فأظننى قد استفدت من تفعيلات الرصافي في استخراج هذا البحر الجديد من بحور

الشعر الحر إذ جعلت «مستفعلاتن» تفعيلة كاملة في بحر صافٍ جديد نوسّع فيه دائرة البحور

المستعملة في الشعر الحر، وضربه معاً، وليس يخفى أن هذا سائغ في الشعر الحر، وستكون

هذه أول حالة في تاريخ العروض العربي ترد فيها تفعيلة مصابة بعلّة زيارة في حشو البيت غير

مقبول في شعر الشطرين الذي يتمسك فيه الشعراء والأديباء بعروض الخليل الدقيق الشامل

للبحور كلها ما كان منها مستعملاً أو مهملأ.

والحقيقة أن الرصافي رحمة الله قد فتح لنا باباً جميلاً بالخروج الذي وقع فيه وهو يستعمل وزن (مخرج البسيط): « مستفعلن فاعلن فعولن ». وأنى لأقول : لعله ليس خروجاً ؟ لعل وزن (مخرج البسيط) : «مستفعلن فاعلن فعولن». وإنى لأقول : لعله ليس خروجاً ! لعل الرصافي تعمد له وجهه نظر معينة في وزن مخرج البسيط ؟ ولكن المؤسف أنه لم يتناول هذه المسألة في كتابه المدرسي « الأدب والرفيع » الذي عرض فيه عروض الخليل عرضاً مختصراً وكنت أؤمل أن يقف ويقطع نشيد « سمعت شعراً » ويخبرنا لماذا زاد فيه حرفاً على مخرج البسيط ؟ أكان ذلك إحداثاً لتجديد في الوزن ؟ أم هو وقوع في الخطأ ؟ ولعل أصدقاء الشاعر، مثل الأديب الأستاذ مصطفى علي ، أعزه الله ، يستطيعون أن يفيدونا بشيء في هذه المسألة الدقيقة، إذ يكون الشاعر قد تحدث إليهم بشيء حول الموضوع فينشرونه خدمة للبحث العلمي.

ولكن الذي ينبغي أن أنبه إليه أن الرصافي لم يلتزم الحرف الزائد في الأشطر كلها عبر قصيدته المشار إليها وإنما عاد إلى وزن مخرج البسيط أحياناً كما في قوله في مواضع مختلفة منها:

فالعيش عندي فوق الفـصـون

لا في قـصـور ولا حـصـون

أطير فيهما من فرط وجدي

من غـصـن ورد لغـصـن ورد

يا قـصـوم إنى خلقت حـرا

لم أهو إلا الفـضـا مـقـراً

فـإن أدتـم أن تنطقـوني

فـأطـلقـوني فـأطـلقـوني

ففي هذه الأبيات ورد وزن المخلع في خمسة أشطر كما تشير الخطوط التي وضعتها تحت التفعيلة الثانية «مفاعلاتن» المقابلة للمقطع «علن فعولن» لدى الخليل، وهذا قد يثبت أن الرصافي لم يعتمد الخروج على تفعيلات الخليل وإنما ورد ذلك عرضاً وهو في وهج الحالة الشعرية، كما حدث لي وأنا أصوغ قصيدتي «زنايق صوفية للرسول».

ولا بد لي أشير إلى أن الحرف الذي زاده الرصافي على مخلع البسيط قد وقع في التفعيلة الثانية من الأصل الخليلي «مستفعلاتن مفاعلاتن» المسارية للتفعيلات «مستفعلاتن» ونحن لا نلتزم بهذا في الشعر الحر، لأن التفعيلة المذكورة يمكن أن تُخبّن (مفاعلاتن) أو تطوى (مفتعلاتن) حيثما وقعت في القصيدة الحرة، كما يمكن أن تبقى سالمة من الخبّن والطي عندما يشاء الشاعر وفق قواعد (البسيط).

ص ٣٥ - النهاوند

أحد مقامات الموسيقى العربية الرائعة الجمال وأنا مفرمة به ولذلك يرد ذكره في شعر هذه المرحلة من حياتي.

ص ٤٨ - الطفل إسماعيل.

إشارة إلى النبي إسماعيل إذ حمله أبوه النبي إبراهيم (عليهما السلام) مع أمه السيدة هاجر وأنزلهما عند البيت الحرام في مكة وكانت إذ ذاك مجدية لا ماء فيها ولا سكان حولها. وسرعان ما ترك إبراهيم النبي زوجته وطفله وانصرف عائداً إلى فلسطين.

وتصور قصيدتي (الماء والبارود) بقية القصة كما وردت في الشروح الإسلامية، ومنها بكاء النبي الطفل إسماعيل من العطش وركض أمه الوالدة سبع مرات بين مرتفعي الصفا والمروة باكية، داعية إلى الله أن يسقي طفلها. ولذلك سنّ السعي بين الصفا والمروة وجعل من شعائر الحج ليتذكر الساعي عذاب هاجر وكيف استجاب الله الرحمن الرحيم لدعائها وفجر ماء زمزم

رياً للنبي الطفل الظمان والحجاج كلهم من بعده.

ص ٨٦ - المجدلية

هي مريم المجدلية التي ورد ذكرها في الإنجيل، وكانت في أول حياتها امرأة خاطئة وقد تجمّع الناس ليرموها بالأحجار، فردعهم المسيح عليه السلام قائلاً: « من كان منكم بلا خطيئة فيلرمها بحجر » وقد كانت كلمته هذه عميقة الأثر فسرعان ما انتبه كل من حمل حجراً إلى أن له خطايا وذنوباً تمنعه من رجم المجدلية.

وقد أدّى هذا الموقف من الرسول النبي عيسى بن مريم إلى أن المجدلية تابت توبة عميقة عن خطاياها وأوزارها وزهدت حتى أصبحت قديسة ومتصوفة، وأرجو أن يكون واضحاً أنني في قصيدتي «زنايق صوفية للرسول» إنما أشير إلى المجدلية القديسة في عطشها إلى الله سبحانه، بعد توبتها، أما المرأة الخاطئة فلا وجود لها بين صور قصيدتي.

ص ٩٥ - دكان القرائن الصغيرة

اعترض بعض الأدباء في مصر على أنني جمعت لفظ «قرآن» قائلين إنه مثل كلمة «رغد» لا يجمع لأن القرآن واحد ولا يصح أن نجعله متعدداً.

والجواب على هذا شينان: (الأول) أننا في العراق نستعمل كلمة « قرائن » فهي لفظة دارجة عندنا تماماً ونحن مسلمون ولا يطعن في إسلامنا. و (الثاني) أن لفظة « قرائن » لا تعنى أن كتاب الله متعدّد وإنما تشير إلى نسخ القرآن كقولنا (مصحف ومصاحف) وهذا يجعل الاعتراض غير وارد أساساً.

ص ٩٧ - مندلي

المقصود بكلمة « مندلي » أن تكون اسماً للدكان تباع فيه القرائن الصغيرة كما نقول

«دكان بغداد» مثلاً.

وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا، تنبت الرمان والبرتقال وسواها من الفواكه. وكانت (مندلى) مليئة بالحياة عندما كان يجري فيها نهر ينبع من إيران، وفجأة حولت الحكومة الإيرانية مجرى النهر فبيست المدينة الجميلة الخضراء وماتت بساتينها الريانة المحملة بالفاكهة وجفت سواقيها وتشققت أرضها من العطش، وهجرها سكانها. وقد ألمنى هذا أشد الإيلام فى حينه، حتى أننى كتبت قصة عن المأساة لم أنشرها حتى الآن. وقد أصبحت كلمة (مندلى) فى حياتى مثل كلمة (يوتوبيا) وبقيت أقول إن نهرأ ما ليس ملكاً لأية دولة من الدول لأنه عطاء الله للوجود والبشرية وليس من حق أحد أن يحول مجراه أو يحتكر مائه ويحرم المدن الأخرى والبشر فيها من الحياة والخضرة. إن علينا أن نترك النهر حرأً يجرى كما جرى دائماً يوزع الارتواء والبساتين والثراء والألوان على الوجود. ومهما يكن من أمر فإننى حين أردت أن أطلق اسماً على الدكان الذى تباع فيه القرانين الصغيرة، انبعثت المدينة الحبيبة « مندلى » فى ذهنى وأعارتنى اسمها الجميل، وقد وجدت فى ذلك فرصة أعبرُ فيها عن حبي لهذه المدينة المفقودة، لأن دكان القرانين فى حلمى ضاع كما ضاعت مندلى، وسافر الحبيب دون أن أستطيع أن أهديه قراناً يحفظه كما تمنيت.

ص ١٢٦ - لفظ ملكى

كلما وردت كلمة « ملكى » أو « ملكى » فى قصائد هذه الفترة من حياتى، فنأنا أريد بها الله تعالى مالك الملك ومالك الملوك، وهو اسم أطلقه الخالق على نفسه فى القرآن فهو أحد أسمائه الحسنى كما فى قوله:

« عند ملك مقتدر »

« هو الله الذى لا إله إلا هو الملك »

وسوى ذلك. وأحياناً أطلق على الله سبحانه لفظ « حبيبي » كما فى قصيدة « زنايق صوفية

لِلرَسُولِ». وَالْوَاقِعُ أَنَّي أَحَاوَلُ أَنْ أَتَحَاشَى لَفْظَ «حَبِيبِي» لِأَنَّهُ اسْمٌ أُطْلِقَ فِي أَغْلِبِ الْأَحْيَانِ عَلَى حَبِيبٍ بَشَرِيٍّ كَمَا فِي (وَيَبْقَى لَنَا الْبَحْرُ) وَ (دَكَانَ الْقَرَائِنِ الصَّغِيرَةِ) وَسَوَاهِمَا، فِي حِينِ أَنْ الْمَلِكَ الْوَحِيدَ الَّذِي أُتَغْنَى بِهِ هُوَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ.

ص ١٨٨ - حَوْلَ إِعْرَابِ السَّنِينِ

تَسَاطَلَ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالْقُرَاءِ عَنِ إِعْرَابِ «السَّنِينِ» فِي شِعْرِي مِنْذُ مَجْمُوعَتِي الشَّعْرِيَّةِ الْأُولَى (١٩٤٧) حَتَّى الْيَوْمِ. وَتَوَهَّمُ الَّذِي لَا يَعْرِفُونَ مِنْ النَّحْوِ إِلَّا الْقَلِيلَ الشَّائِعَ أَنَّي أَخْطِئُ حِينَ أُثْبِتُ نُونَ (سَنِينِ) فِي حَالَةِ الْإِضَافَةِ، وَلِهَؤُلَاءِ أَكْتُبُ هَذَا الْهَامِشَ. فَالْوَاقِعُ الْمَعْرُوفُ لِكُلِّ مُتَعَمِّقٍ فِي دِرَاسَةِ نَحْوِنَا الْعَرَبِيِّ أَنْ (السَّنِينِ وَبَابِهِ) يُعْرَبُ إِعْرَابَيْنِ أَحَدُهُمَا إِعْرَابُ جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ وَهُوَ الرَّفْعُ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، وَالنَّصْبُ وَالْجَرُّ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، وَحُذْفُ النُّونِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَانْتِفَاءُ التَّنْوِينِ. وَهَذَا هُوَ الْإِعْرَابُ الشَّائِعُ الدَّارِجُ وَأَنَا لَا أَحْبِبُهُ وَلَا أُسْتَعْمَلُهُ. وَالْإِعْرَابُ الْآخَرُ إِعْرَابُ كَلِمَةِ (حِينِ) الَّتِي تَتَغَيَّرُ يَأْوِيهَا إِلَى وَاوٍ، وَتَبْقَى نُونُهَا ثَابِتَةً عِنْدَ الْإِضَافَةِ لِأَنَّهَا جِزْءٌ مِنَ الْكَلِمَةِ لَا يَنْفَصِلُ عَنْهَا! وَيَكُونُ إِعْرَابُهَا بِالْحَرَكَاتِ رَفْعاً وَنَصْباً وَجَرّاً وَتَّنْوِيناً. وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَنِيناً

كَسَّنِينِ يَوْسُفَ.»

وَفِيهِ نُونٌ السَّنِينِ كَمَا يُنَوِّنُ الْأِسْمَ الصَّحِيحَ وَجَرَّهَا بِالْكَسْرِ وَأُثْبِتُ نُونُهَا عِنْدَ الْإِضَافَةِ.

وَهُنَاكَ شَوَاهِدٌ أُخْرَى عَلَى هَذَا الْإِعْرَابِ أَشْهَرُهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

دَعَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنْ سَنِينُهُ

لَعِبِنَ بِنَا شَيْباً وَشَيْبِينَنَا مُرْداً

وَالْوَاقِعُ أَنَّي أَرَفَضُ أَنْ أَقُولَ (السَّنُونِ) فِي حَالَةِ الرَّفْعِ وَقَدْ لَاحِظْتُ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَمْ تُؤَدَّ

فى القرآن الكرىم مطلقاً وإنما وردت « السنين » منصوبة ومجرورة فحسب، وقد زادتنى هذه الملاحظة نفوراً من « السنون ». ومهما يكن من أمر فقد عنه لى أن أوضح موقفى من إعراب السنين بعد أن طال تساؤل القراء عنه منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم.

ص ٢٠١ - إلدورادو Eldorado

عنوان قصيدة قصيرة للشاعر الأمريكى إدغر آلان پو Poe يبحث فيها الفارس الشجاع، طوال حياته حتى يشيب، عن مدينة الأحلام فلا يجدها، و (إلدورادو) هى المدينة المنشودة.

ص ٢٠٦ - حول « ليثيا »

« ليثيا » نسبة نهر الليثى Lythe بكسر اللام فى الأساطير الإغريقية، وهو نهر النسيان

الذى يشرب منه الموتى فينسون حياتهم الدنيا. وهذا النهر فرع من فروع نهر ستكس Styx

الكبير الذى يجرى فى الجحيم ويتصف بأن مائه أسود. وبأنه يجرى بقوة رهيبه جارفة، ولكنه

صامت صمت القبور، بارد برودة الثلج.

نازك الملائكة

بغداد فى ٢٢ / ٧ / ١٩٧٧م

المحتويات

5	لمحات من سيرة حياتى وثقافتى
25	تقدمة
31	ويبقى لنا البحر
45	الماء والبارود
73	زنايق صوفية للرسول
95	دكان القرائين الصغيرة
117	مرايا الشمس
131	ميلاد نهر البنفسج
141	سنابل النار
165	السماء على غابة الصبّير
177	تمتمات فى ساحة الإعدام
185	السفر فى المرايا الدامية
197	صور وتهويمات أمام أضواء المرور
217	هوامش وتعقيبات

إشارات

نازك صادق الملائكة

- ولدت في 23 أغسطس عام 1923 ببغداد بالعراق.
- حصلت على درجة الليسانس في الآداب قسم اللغة العربية عام 1944 بمرتبة الامتياز من دار المعلمين.
- ماجستير في الأدب المقارن من جامعة (ماديسن/وسكنسن) الأمريكية عام 1956.
- درّست في كلية التربية بجامعة بغداد، ثم بجامعة البصرة لمدة أربعة أعوام ثم بجامعة الكويت لمدة اثني عشر عاماً.
- بدأت نظم الشعر بالعامية العراقية قبل سن العاشرة ثم نظمت أول قصيدة بالعربية الفصحى في العاشرة.
- كانت أمها شاعرة مجيدة وكانت تنشر قصائدها باسم (ام نزار).
- تجيد الانجليزية والفرنسية واللاتينية التي كتبت بها.

- تجيد العزف على آلة العود التي درستها لمدة ست سنوات في
معهد الفنون الجميلة.

- تأثرت الى حد كبير بشعر محمود حسن اسماعيل وعلي
محمود طه الذي ألفت عنه كتاباً في النقد الأدبي صدر في
بيروت باسم «الصومعة والشرفة الحمراء».

من أعمالها الشعرية :

- عاشقة الليل - بغداد 1947 / شظايا ورماد - بغداد 1949 /
قرارة الموجة - بيروت 1957 / شجرة القمر - بيروت 1968 /
للصلاة والثورة - بيروت 1973 .

ومن أعمالها النثرية :

- قضايا الشعر المعاصر - بيروت 1962 / التجزئية في
المجتمع العربي - بيروت 1972 / الشمس التي وراء القمة -
القاهرة 1997 .

صدر من هذه السلسلة

- 1 - عيون الغرياء فتحى غانم
- 2 - السرداب رقم 2 يوسف الصائغ
- 3 - حكايات للأمير يحيى الطاهر عبد الله
- 4 - مجنون الورد محمد شكرى
- 5 - نجمة كاتب ياسين
- 6 - نهر المجرة عبد الوهاب البياتى
- 7 - السد محمود المسعدى
- 8 - بناية ماتيلد حسن داوود
- 9 - سرير لعزلة السنبله محمد الأشعري
- 10 - حجر الضحك هدى بركات
- 11 - سأهيك غزالة مالك حداد
- 12 - الخماسين غالب هلسا
- 13 - حزن فى ضوء القمر محمد الماغوط
- 14 - مختارات وديع سعاده
- 15 - سباق المسافات الطويلة عبد الرحمن منيف

- 16 - دعوا الشقاء سالماً عباس بيضون
- 17 - أف ! زكريا تامر
- 18 - مجنون الحكم سالم حميش
- 19 - مختارات من القصة المغربية اختيار وتقديم أحمد بوزفور
- 20 - يغير البحر ألوانه نازك الملائكة

يغير ألوانه البحر

نازك الملائكة

